26694
5 | A

٣٢٨ ٢٥



تأليف السير ريدر هجارد

تعريب م. ع

(الجزء الاول)

نشرت تباعاً بجريدة الاهرام

تطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش بمصر

« جون الامين »

منذ ثلاثين سنة ونيف بث الله من روحه فخلق جسدين ذكراً وأنثى . وقد ولد الطفل أولا وإسمه « جودفرى نيت » وبعد ولادته بستة شهور ولدت الطفلة وإسمها « اليصابات بلاك » وكانت كأنها ولدت لتبحث عنه أو لانه كتب عليها أن تتبعه أينما ذهب وسار

بهذا قضت إرادة الله عليها وعليه

وكانت ظروف الطفلين أو بالحرى ظروف والديهما متباينة تبايناً تاماً واتفق أن منزليهما كانا قريبين لايبعد أحدهما عن الآخر ثلاثمائة خطوة

***

فى ولاية اسكس من أعمال انكلترا يجرى نهران صغيران أحدهما يسمى « النهر الاسود » والاخر يسمي نهر « كروتش » بينهما قطعة أرض مستوية . وكان أجدادنا على ما يظهر يعلقون على هذه البقعة أهمية كبرى نظراً لموقعها ومركزها التجارى وما

تنتجه من الغلال فشيدوا بها قصوراً شاخة وأقاموا الكنائس والاديرة

وكان بين هـذه الاديرة دير قريب من البحر معروف باسم « دير الراهب » وهو من المعابد الجميلة ولو انه لايؤمه اليوم غير عدد قليل من المتعبدين . وكان رئيس هذا الدير يقطن فى منزل قديم بجانبه اشتهر بين العامة بانه مسكون بالارواح النجسة ولهذا السبب غادره القسيس الى منزل آخر معروف « بهولك هول » واقع على ترعة صغيرة تتفرع من « النهر الاسود » . وكان المنزل مشيداً من الخشب كما تبنى المنازل فى « اسكس » عادة ولذا لم يعمر طويلا اذ لم يلبث أن تهدم فجاء تاجر من تجار الأسماك إسمه برون فى أول عهد الملكة فكتوريا وشيد على انقاضه منزلا رحباً من الطوب الأبيض حيث عاش فى سعة وسط الضيعة الكبيرة التي كانت ملكا للرهبان

ولكن الدهر عضّ هذا الرجل بأنيابه فى آخر عهده فكسدت تجارته واضطر الى تأجير منزله لرجل من بنائى السفن في هرويك يسمي بلاك وهو رجل خبيث من اسرة وضيعة لم يرزق غير ولد واحد إسمه جون عول على أن يجعله رجلا « جنتلمان » ولذا أرسله الى المدرسة ثم الى الجامعة ولكن لم يبد من أخلاق هذا الولد شيئاً يدل على دماثة الاخلاق لان طبيعته كانت لاتتفق باى حال من الاحوال مع الرقة والدعة فبقى على مزاياه الاخرى مراوغاً

ماكراً قادراً فى أعماله كابيه من قبله وفيما عدا ذلك كان قوى الجسم متورد الوجه . وكان جيرانه يلقبونه « بجون الأمين » خطأً وغروراً وهو لقب استفاد منه واستخدمه في كثير من الأمور

مات والد « جون الأمين » فترك ابنه فى حال حسنة ولو أنه لم يتركه من الغنى بحيث كان يود ، وقد فكر جون فى البداية فى ترك « هوك هول » والعيش فى « هارويك » حيث كانت جل مصالحة وأعماله على انه تذكر أن بقاءه في « هوك هول » يجعل له مركزاً معيناً فى البلاد بخلاف وجوده فى هارويك فعدل عن فكرته هذه واستبدلها بفكرة أخرى هى فكرة الزواج

لم يكن جون بلاك من أصحاب الأوهام أو الخيالات الخرافية ولذا لم يطمع بان يجر مغنما من وراء الزواج . وفى الواقع لم يطلب إمرأة ذات جمال أو مال بل كل ماكان يطمع به أن يلد أولاداً ويكون ذا مركز عظيم فى الهيئة الاجتماعية

وجد جون بلاك ضالته المنشودة بعد أيام قليلة ، فقد قدم رجل من الأعيان يسمى اللورد لينفيلد وهو مدير عدة بنوك فى لندن ـ إلى مزرعة للصيد فى جوار « هوك هول » ، وكان اللورد يقضي زمن الشتاء بهذه المزرعة ولا يسافر الى لندن إلا اذا اقتضت أعماله وجوده هنالك

ولسوء حظ هـذا اللورد كان له بضعة أولاد من الشياطين

المبذرين لم يلبث جون بلاك أن ارتبط معهم برابطة الصداقة ثم زاد رابطته بهم بان أقرض أحدهم مبلغاً كبيراً من المال فلما بلغ هذا النبأ مسامع اللورد ـ وهو ماأراده جون ـ قلق وطلب إلى جون أن يرد هو اليه المبلغ فأبى جون بلاك بمكره ودهائه أن يسمع مثل هذا القول قائلا :

ـ كلا . كلا . أيها اللورد . لاأريد شيئاً . سيرد ابنك ما عليه يوماً ما واذا أبى فان المسألة لاتتطلب أقل إهتمام

فقال اللورد ممتناً :

ـ انه سيدفع ماعليه بلا مراء وإنى أشكرك يامستربلاك على احساسك هذا الشريف

وهكذا صار جون بلاك صديقاً لهذه الاسرة العالية .

وكان اللورد لينفيلد أرمل له بنت واحدة عير متزوجة وكانت فتاة شديدة الحيـاء غريبة الاطوار دات آراء دينية حتى عشقت سراً قسيساً فى إحدى كنائس لندن . وفى الواقع كانهذا هو السبب فى المجئ بها الى اسكس بعـد أن اكتشفت أمرها إحدى شقيقاتها المتزوجات

وكانت اللادي جونيا « اسم الفتـاة » نحيفة الجسم قصيرة القامة منكمشة الاعضاء تشبه الفأر حتى في عينيها الكبيرتين فرأى جون بلاك فيها الزوجة التى ينشدها

ليس ثمة حاجة تدعونا الى متابعة هذه القصة المؤلمة الىالنهاية

بل يكفي أن نقول أن جون بلاك لعب دور المحب الصادق وكان يعلن دائما بملء شدقيه عدم جدارته واستحقاقه لها . وفى النهاية عرض اللورد على إبنته الأمر فقبلت وفي الوقت المناسب تم الزواج

وقعت الطامة الكبرى بعد الزواج فان جونيا كرهت زوجها بعد أن عرفت حقيقته وأدركت كنه طبيعته وأصبحت تمقته بقدر ما كانت تحب ذالك القسيس الذى ابتعدت عنه في ساعة مروعة والذى حافظت على حبها له حتي بعد موته بسنين وكان كل أملها أن تلقاه بعد الموت حيث لا زواج ولا تناسل . على انها كانت تكتم كل ذلك في قلبها الصغير الكليم وتقوم فى خلال ذلك بواجبها نحو زوجها وهى هادئة ساكنة

أما هو فلم يقم بواجبه نحوها . وكانت لاتهتم به اذا هجرها أو مال الى غيرها على انها وجدت من جهة أخرى من أخلاقه ومعاملته ما لاتستطيع احتماله . فقد كان الرجل فى طبيعته وحشأ ضاريا يجد لذة فى اضطهاد الضعفاء وميلا إلى اظهار حقيقة طبيعته الخشنة فى منزله اذ كان لايجرأ على اظهارها في الخارج . على انه كان يعاملها بكل احترام أمام الناس ولا سيما أمام أهلها وطالما كان يناديها أمامهم بالفاظ المحبة والحنان فاذا ما خلا اليها تبدل الأمر غير الأمر وتغير الحال غير الحال . فقد كان يقول لها أحيانا بغلظة وخشونة :

— لماذا أعطيتك كل هذه الحلى والملابس الجميلة بصرف النظر

عن الاموال الطائلة التى تنفقينها فى إدارة شئون المنزل .

فكانت لا تجيبه بكلمة وتتدرع بالسكوت على رغم ما كان يتقد فى قلبها من النيران . وكانت تفكر أحيانا فى مغادرته والفرار من وجهه ولو تطلب الأمر أن تعول نفسها بنفسها ولكنها كانت تعدل عن هذه الفكرة لسبب واحد وهو أنها رزقت طفلة سمتها اليصابات . على أن هذه المولودة لم تكن سبباً في سعادتها فيما يتعلق بزوجها بل بالعكس زادت فى تنغيصها لا لسبب الا لأنها لم تكن ولداً ذكراً وكان لايدخر فرصة فى مجابهتها بذلك كما لو كان لهذه المسكينة سيطرة على الطبيعة .

على أن كاس حياتها المر لم يخل من الحلاوة فقد أحبت المسكينة طفلتها الصغيرة اليصابات حباً جماً دون غيرها بخلاف الأب فانه كان لا يعير الفتاة أقل اهتمام

بدت على اليصابات وهى لاتزال فى المعهد علامات النبوغ والذكاء فكانت وهى طفلة تعرف ما تحتاج اليه وتكوّن آراءها دون أن تتأثر بأفكار الآخرين وفوق ذلك كانت جميلة الطلعة تختلف ملامحها كل الاختلاف عن ملامح والديها فلم تكن عيناها جاحظتين كعيني أبيها ولا كاسفتين كعينى أمها بل كانتا واسعتين سوداوين ذات أهداب طويلة مقوسة . وكانت ذات ثغر جميل وشعر ذهبي طويل ممتلئة الجسم معتدلة القوام كثيرة الحركة والنشاط لها صوت ممتلئ جهوري

حدثت أول معركة بين اليصابات وأبيها وهي فى العاشرة من عمرها . وذلك أن جون خسر ذات يوم إحدى المضاربات الخاصة بصنع السفن فأراد كعادته أن يشفي غليله من زوجته المسكينة فخاطبها فى بعض شؤون المنزل بلهجة شديدة . ولم تكن تستحق شيئاً من اللوم فغادرت الغرفة لتخفي دموعها ولكن اليصابات بقيت ثم تقدمت نحو أبيها وقد قطبت جبينها وقالت :

ــ لماذ تعامل أمي هذه المعاملة ؟

فأجابها بخشونة قائلا :

ــ ليس هذا شأنك أيتها الوقحة

فهزت الفتاة قبضة يدها الصغيرة فى الهواء وصاحت قائلة :

ــ ان « ماما » تهمني وأنت . . . رجل قاس

فرفع جون يده كأنه يريد ضربها ولكنه عدل عن رأيه ثم غادر الغرفة. وهكذا تغلبت الفتاة الصغيرة على أبيها لأنه منذ ذاك الوقت لم يجرأ على أن يسيء معاملة زوجته أمام اليصابات. وكان يشكو الى أمها أخلاق الفتاة قائلا ان شذوذ أخلاقها ناجم على سوء تربيتها إياها

وفى ذات يوم لامت اللادى جونيا ابنتها اليصابات على « كلماتها القاسية » لأبيها فأصغت الفتاة إلى قول أمها ثم سألتها دون أن تحاول الدفاع عن نفسها قائلة

ــ ألم تكن كلمات أبي لك قاسية كذلك يا أماه ؟ اذا كان جيمس قد نسى ان يأتي له بالمركبة ليلحق القطار المسافر الى

لندن فهل يعد ذلك خطأك ؟ هل هناك مايدعو الى معاملتك هذه المعاملة الخشنة ؟

ـ كلا ياعزيزتي ولكن ألا تعلمين إنه زوجي وان الازواج لهم أن يقولوا مايشاءون لأزواجهم ؟

فقالت اليصابات باهجة تنطوى على الجد

ـ اذن لا أتزوج برجل واذا لم أستطع فلن يكون زوجى مثل أبى

إنتهت المسألة عند هذا الحد أو بالحري لم تنته لأن اليصابات أخذت منذ ذلك الوقت تفكر كثيراً فى مسألة الزواج والعادات الأخري إلي أن كونت فى النهاية آراء غريبة قلما تخطر في عقول أترابها . وقصارى القول خطت الفتاة أول خطوة فى سبيل الآراء المتطرفة وسارت فى طريق الثورة ضد « الموجود » و « المسلم به »

سارت اليصابات فى تلك الطريق بخطوات واسعة في عهد التعليم الذى تلى هذا الحادث . وكانت المعلمة أو بالحرى المعلمات اللائى كن يستأجرهن أبوها لتعليمها ـ لأن أمها لم تكن لها حق اختيارهن ـ من الطبقة التى يصح أن نسميها « بالطبقة الجامدة » ولسبب ما لم تواظب واحدة منهن على تعليم اليصابات مع أن الفتاة كانت سريعة الفهم متوقدة الذهن مولعة بالقراءة .

غير انها كانت لا تلين اذا عوملت بالشدة التى تعامل بها المعلمات الفتيات الصغيرات عادة فكانت تعارضهن معارضة غريبة وبصلابة

رأي مدهشة بحيث يملن تعليمها ويتركنها فى النهاية

واتفق إن إحدى معلمات اليصابات حاولت ضربها مرة وكانت فى الثالثة عشرة من عمرها فأجابت الفتاة معلمتها بأن قذفتها بالمحبرة فى وجهها فلوثت صدرها بالمداد وأتلفت ملابسها

أفاقت المعلمة من دهشتها لهذا العمل ثم قالت

ـ سأخبر أباك بالامر ليضربك

فقالت اليصابات

ـ أنصحك أن لا تفعلى ذلك واذا فعلت حملته على أن لا يصغى لقولك

ففكرت المعلمة فى الأمر هنيهة فرأت إن خير وسيلة هى نصح الفتاة حتى تقلع عن هذه العاذه القبيحة . ولكن يجدر بنا أن نقول أن حون بلاك لم يلتجئ الى استخدام الشدة مع ابنتة . وقد يعزى السبب في ذلك إلى انه رأى ان ليس من الحكمة معاملتها بالقسوة أو لأنه كان يحبها وينظر اليها نظرة اعجاب لا تخلو من الهيبة . وكان جون بلاك كغيره من غلاظ الطباع ـ جبانا يحترم كل من يجرأ على مجابهته والوقوف فى وجهه ولو كانت فتاة صغيرة وهذه الفتاة ابنته

دار البحث بعد حادثة المحبرة حول مستقبل تعليم الفتاة فاقترحت اللادى جونيا أن ترسل اليصابات الى المدرسة على رغم ما فى ذلك من المشاق التى تتكبدها لفراق ابنتها على أنه لحسن الحظ رفض المستر بلاك الاقتراح فى الحال رفضاً باتاً لا لسبب الا انه من بنات

أفكار زوجته التى ارتاحت فى نفسها لهذا الرفض ارتياحاً عظيما وفى الواقع ركعت فى تلك الليلة وقدمت آيات الحمد والشكر لله . على أنه قد يعزى السبب فى رفض أبيها الى انه لم يشأ أن تبتعد اليصابات عنه

احتملت اللادى جو نيا أعمال زوجهاالى درجةالكلل والملل وكان يقضى معظم وقته في لندن أو في « هارويك » حيث له مكاتب يتولى فيها أعماله الخاصة ببناء السفن ويقضي آخر الاسبوع فى « هوك هول ». وقد تعودأن يستصحب معه جماعات من أصحاب الأعمال اذ أراد لغاية فى نفسه أن يظهر امامهم بأنه رب عائلة . وكانت اليصابات تحيي أصدقاء أبيها وتدخل السرور الى قلوبهم برشاقتها وخفتها بحيث كان الجميع يشعرون بنقص عظيم فى عوامل سرورهم اذا لم تكن الفتاة بينهم . وكانت اليصابات تقوم بخدمات جليلة كذلك فى فصل الصيد ولذا تقرر أن تبقى دائماً فى المنزل

طرأت على ذهن المستر جون بلاك في هذه الآونة فكرة راجحة . وخلاصة الأمر انه اشترى منذ بضعة أعوام مزرعة « دير الراهب » . وكان البيع اذ ذاك اجباريا فاشترى الفدان بسعر اثنى عشر جنيهاً ودفع مبلغاً لا يعادل نفقات الا بنية التى شيدت فى المزرعة . وقد قال جون لعارفيه انه تحمل في ذلك خسارة شخصية كبرى لفائدة العمال والمستتأجرين على أن الحقيقة انه كان يتقاضي أجوراً كافية كان يوقن انها ستزداد على مر الأيام

اتفق بعد مرور عام ان خلت رئاسة الكنيسة باستقالة الكاهن ولما كان المستر جون بلاك صاحب المزرعة وأبنية الدير استشار رئيس الاساقفة وأعضاء الكنيسة فى أمر تعيين خلف الاسقف وفي النهاية وجد من مصلحته أن يرشح ابن أخي مركيز غني من معارفه ليتولي رئاسة الكنيسة وان يسعى لحمل المركيز نفسه على ادارة مكتب لأحدى الشركات التى كان له فيها نصيب كبير وتنفيذاً لغايته هذه خاطب المركيز يوماً ماوكان اسمه السر صموئيل قائلا :

ـ لم أر ابن أخيك الاسقف ولا أعلم من آرائه أو أنبائه شيئاً ولكن اذا أوصيت به أيها السر صموئيل فان ذلك يكفى لاننى أحكم دائما على الرجل من قرنائه فلك أن تقدم الى أو إلى محامي المعلومات اللازمة وعلى تنفيذ الأمر . والآن علينا أن نخوض في مسألة أخرى أعظم أهمية من هذه وهى مسألة الشركة ... الخ

وقد انتهى الأمر بان انضم السر صموئيل إلى أعضاء الشركة وعين المستر نيت ابن أخيه رئيساً للدير . والآن يجب الاعتراف بان النتائج التى أسفرت عن هذا العمل كانت حسنة بصفة خاصة لان الاسقف أبدى نشاطا عظيما ومهارة فائقة فى أعماله وكان رجل جد وعمل ينظر الى العالم كأنه مهد الآلام والخطايا وطريق وعرة كثيرة العراقيل والأشواك تؤدى الى سهول السماء الواسعة

التى لاتدركها العقول والأفهام . وكان فوق ذلك خبيراً متعلماً يتقن أعماله كل الاتقان

وكان المستر نيت قد تزوج بعد خروجه من المدرسة الاكليريكية بابنة أسقف آخر فى إحدى الموانئ فماتت فجأة بسبب حادث وخلفت ولداً . ولم تكن تلك الزوجة من سلالة انكليزية محضة لان أمها كانت من الدنمارك على انها كانت من بيت عريق فى المجد كالمستر نيت نفسه

وكان الدافع لهذا الزواج عوامل خيرية لأن المستر نيت كان قد وعد زميله وهو على فراش الموت بان يكون الصديق الوفى لابنته . وكانت هذه الزوجة مميزات جنسها فكانت حرة الأفكار ذات أمانى خيرية وحذق عظيم . وقد ماتت عند ولادة ولدها الوحيد « جودفرى » بعد ثلاثة أعوام من زواجها

لم يتزوج المستر نيت بعد موت زوجته . ومع انه كان يعترف بضرورة الزواج فى الجنس البشرى فانه كان يود أن لايقدم عليه لولا انه رأى أن واجبه يقضى عليه بذلك . وقد تحمل بسبب الطفل مشقة عظيمة حتى كان يود فى بعض الأحيان موته مع أمه على انه أخذ فيما بعد يهتم به بعد ما كبر وترعرع وآنس منه النجابة والذكاء

وجد فى النهاية أرملة عجوز تسمى مسز بارسون فتولت خدمة المنزل وتربية الطفل . ولحسن حظ جودفرى أبدت هذه المرأة

نحوه عاطفة وحنانا عظيمين ، وكانت قد فقدت طفلين لهافعاملته معاملة الأم وأحبته من البداية كما أحبها وقد دامت هذه المحبة بينهما مدة حياتهما

ولما بلغ جودفرى التاسعة من عمره انحطت قوى أبيه وكان لايزال قسيساً بتلك الميناء . وقد ظل فى منصبه هذا على رغم جده واجتهاده دون أن يرقى الى منصب آخر ولذا اضطر أن يلتجيء الي ثروة قريبه السر صموئيل ويبقى حيث هو لان الطبيب نصحه بالاقامة فى الريف ـ هذا اذا لم يرد الموت

الفصل الثاني

«اليصابات وجودفرى»

راقت «مزرعة الراهب» بالاجمال فى عيني المستر نيت وكان المستر بلاك يذهب أحيانا الى الكنيسة لا بدافع دينى ولكن ليظهر أمام مواطنيه بالتقوى والصلاح . على أن تعبده كان يتوقف عادة على إرادة زملائه الذين كانوا يرافقونه فاذا أرادوا ذهب معهم والا بقوا فى المنزل . أما اللادى جونيا وابنتها اليصابات فكانتا تواظبان على الذهاب الى الكنيسة

واتفق أن حدثت مشكلة بسبب نفقات الكنيسة بين المستر نيت والمستر جون بلاك أدرك هذا بعدها ان القس رجل ذو إرادة قوية وآراء جلية فيما يتعلق بالانتصار للحق ومكافحة الباطل . وقصارى القول أيقن جون انه رجل لايستهان به ولا يسهل خداعه فكان لذلك يتحاشي لقاءه بقدر مايستطيع

لم يلبث المستر نيت أن أدرك أولا أن دخله لايكفي لسد حاجاته وأن مستقبل الكنيسة متوقف على يديه . وقد ذلل المشكلة الأخيرة بان بدأ فى تأليف كتاب دينى على انه أدرك بعد قليل أن مثل هذا الكتاب يتطلب نفقات كبيرة ويستغرق مدة طويلة

فبحث عن عمل آخر يقضى فيه وقت فراغه ليزيد فى دخله . ومع أن المد ر نيت كان مشهوراً بالتكتم فقد أسر أمره هذا في يوم من ايام الاحد الى اللادى جونيا اثناء غياب المستر بلاك قائلا :

ـ ن المنزل كبير لاتستطيع مسز برسون (مربية جودفري) والخادمة أن تحافظا على نظافته. وعندى أن الذين سبقونى من الأساقفة في هذا الدير قوم من الجهلاء لانهم كانوا كما علمت ينفقون مالايقل عن ١٥٠٠ جنيه في العام فى إدارة شئون هذا المنزل . والآن لاأرى وسيلة غير أن أدعه لتعمل فيه يد الخراب والدمار

فقالت اللادي جونيا

ـ قد تكون مصيباً فيما قلت ولكن ألا ترى أن المنزل من الآثار الجميلة ؟

فأجابها الاسقف بحدة قائلا

ـ ألا تعلمين ان الجمال فى كل شئ يدعو الى الفتنة. ان الجمال شرك ينصبه الشيطان وهو يعرف كيف يستخدمه لاصطياد الناس

سادت السكينة بعد ذلك هنيهة لأن اللادي جونيا كانت كما قلنا من عشاق الأعتقادات الدينية فلم تدر ماذا تجيب . على أن اليصابات ـ وكانت جالسة معهما ـ عكرت صفو هذا السكوت بأن قالت بصوتها القوى الرائق

ـ لماذا لا تستخدم جزءاً من غرف الدير كمدرسة يامستر نيت ؟

فقال الأسقف :

ـ مدرسة ! مدرسة ! لم تخطر ببالى هذه الفكرة . . . حسن الآن حان وقت انصرافي وسأفكر فى الأمر .

وفعلا فكر المستر نيت في الأمر وبعد استشارة مسز بارسون نشر اعلاناً فى جريدة ،، التيمس ،، دعا فيه الآباء والاوصياء ان يعهدوا اليه بتربية طفلين أو ثلاثة لتعليمهم مع ابنه جود فري التعليم الأولى . وقد أثمر هذ الاعلان اذ جاء الى الكنيسة طفلان وكان ذلك قبيل الأزمة التى وقعت بسبب مستقبل تعليم اليصابات بعد أن هجرت المعلمة الأخيرة تربيتها ونفضت ماعلق بنعليها من تراب ،، هوك هول ،،

أرسلت اليصابات ذات يوم برسالة الى الدير فدقت الجرس ولكن لم يجبها أحد لان المستر نيت كان فى الخارج مع تلميذيه فى حين كانت مسز بارسون والخادمة في مكان ما . ولما ملت الفتاة الانتظار سارت حول البناء القديم على أمل أن تجد أحداً تعطيه الرسالة فوصلت الي غرفة الطعام في الدير وكان لها مدخل خاص فوجدت الباب مفتوحاً فأطلت برأسها فى الداخل فلم تر شيئاً غير السقف العالى المصنوع من خشب البلوط ثم الكوات الصغيرة المرتفعة

على انها لم تلبث أن رأت شخصاً صغيراً جالساً في الظل عند طرف المنضدة التي تعود الرهبان الاكل عليها فتبينته فاذا هو

جودفرى نجل المستر نيت فهرعت نحوه بخفة فوجدته نائما فوقفت تتفرس في وجهه

وكان جودفرى فتي جميل الطلعة ذا شعر اسود مجعد وعينين سوداوين كذلك ـ ولو أنها لم ترهما لانه كان نائما ـ فى حين كانت أهدابه سوداء طويلة ويداه جميلتان . وكانت تبدو عليه سيماء الوحدة تثير حالته الاشجان والعواطف فأحست الفتاة بقلبها يميل نحوه . نعم كانت الفتاة تعرفه من قبل ولكنها لم تعرفه جيداً لأنه كان كثير الحياء ولان أباها لم يرد أن تكون هناك علاقة بين منزله ومنزل القسيس

أدركت اليصابات بطريقة ما ان الفتى غير سعيد وفعلا كانت تبدو على وجهه وهو نائم علامات البؤس والحزن فنمت فى قلبها عاطفة شديدة . بل وأكثر من عاطفة لأنها أحست فجأة بما لم تشعر به من قبل فأحبت الفتى الصغير كما لو كان أخاها ثم شعرت بميل غريب نحوه وخيل اليها أن روحها ارتبطت بروحه وانها كانت دائما كذلك وانها ستظل مرتبطة بها الأبد

تملكت هذه العاطفة نفس اليصابات كالنيران فهزتها واصفر وجهها وانتفخ أنفها وحملقت عيناها الواسعتان ثم تنهدت . وفى الواقع فعلت أكثر من ذلك فقد اقتربت بقوة قاهرة مجهولة من جودفرى ثم وضعت قبلة خفيفة على جبهته ثم ارتدت الى الوراء وقد تملكها الخوف والخجل من عملها

استيقظ جودفرى اذذاك فأحست اليصابات بعينيه السوداوين تنظران اليها ثم تكلم بصوت بطيءٍ مرتبك قائلا

ـ رأيت حلماً مضحكا . فقد حلمت أذروجاً جاءت وقبلتني ولم أرهذه الروح ولكن لابد أن تكون روح أمي

فقالت اليصابات

ـ لماذا تزعم هذا الزعم ؟

ـ لانه لايهتم بى أحد غيرها حتى يقبلني عدا مسز بارسون وقد عدلت عن ذلك الآن منذ جاء الأولاد الى المدرسة

فقالت اليصابات

ـ هل يقبلك أبوك ؟

ـ نعم . مرة فى كل أسبوع وذلك في مساء كل يوم أحد عند ما أذهب الى فراشي ولكنى لاأهتم بذلك

فقالت الفتاة وقد فكرت بأبيها

ـ نعم . لقدفهمت . من الأمور المحزنة أن لايكون للانسان أم

فتنهد الصبي وقال

ـ نعم هو ماتقولين . خصوصاً اذاكان الانسان مثلى لابد له أن يقضي وقتاً طويلا طريح الفراش وهو وحده يعانى أوجاعاً شديدة فى الرأس . انك تعلمين أن فى أذنى دملا كبيراً يؤلمنى ألما شديداً

ـ انني أجهل ذلك ياجودفرى . وقد سمعنا بمرضك فارادت

أمي أن تعودك ولكن أبى منعها خشية أن تكون مصاباً بالحصبة فتنتقل منك العدوى الى غيرك

فقال جودفرى دون أقل خشية

ـ كلا . لست مريضا بالحصبة ولو كنت مريضاً بها لكان من المحتمل أن تصابى بها وعلى ذلك قد أصاب أبوك فى حذره

فصاحت اليصابات قائلة

ـ كلا . كلا . انه لايفكر بى أو بامي . انه كان يفكر بنفسه

فدهش جودفري لقولها وقال

ـ ان الرجال الاشداء لايصابون بالحصبة

ـ انه يقول عكس ذلك وان هذا المرض خطر على الكبار ... لماذا أراك منفرداً هنا وبماذا تشتغل ؟

ـ ان أبى أمر بحبسى هنا عقابا لي لانني أخطأت في حل بعض مسائل حسابية . لقد ذهب الأولاد للعب ولكني أمرت أن أبقي هنا حتى أحل المسائل حلا صحيحاً ولا أدري متى أستطيع حلها لانني أكره الطريقة الثلاثية ولا أستطيع فهمها

فصاحت اليصابات بابتهاج قائلة

ـ الطريقة الثلاثية ؟ انني ماهرة فى حلها وأحب علم الحساب . دعني أحاول حل مالديك من المسائل ... افسح لى مكاناً بجانبك وناولني الورقة

فاذعن جودفرى للأمر بسرور ولم تمض لحظة حتى انكب

الاثنان وهما جالسان معاً على الورقة وبعد مــدة وجيزة تمكنت اليصابات من اخراج نواتج المسائل بدون مشقة ثم كلفته بنقلها ولما فرغ أتلفت جميع الأوراق التى كتبتها بخطها

قامت اليصابات ثم جلست على طرف المنضدة وقالت

ـ هل أنت غبي فى العلوم الاخرى مثل الحساب ؟

فاجابها جودفرى حانقاً

ـ ماأقسى سؤالك هــذا ! كلا بالطبع . انني ماهر فى اللاتيني والتاريخ ولـكن أبى لايهتم بهما كثيراً . انه من نوابغ كلية كمبردج كما تعلمين

ـ أحقا ما تقول ؟ ان هذا هو السبب فى انه كثير الحجج في عظاته . انني أكره التاريخ لانه مملوء بالتواريخ وأسماء الملوك ولا أدرى لماذا يهتم الناس بالملوك

فقال جودفرى

ـ لان الواجب يقضى عليهم باحترامهم

ـ نعم ولـكني لاأري سبباً يدعونى الى الدعاء لملـكتى لانها لم تفعل لى شيئاً ولو ان أبي يطمع في أن ينال منها شيئاً يوماً ما. انني لاأريد أن تكون هناك جمهورية لها رئيس كجمهورية الولايات المتحدة

فنظر اليها جودفرى وقال

ـ انك من المتطرفين الذين يريدون القضاء على الـكنيسة

فهزت اليصابات رأسها ثم قالت

ـ نعم هو ماتقول . هـذا اذا كنت تعنى أن يشتغل رجال الدين كغيرهم من الناس بدلا من التجسس والقيل والقال كما يفعلون الآن

لم يشأ جودفرى أن يواصل معها الحديث فى هذا البـاب فخاض فى موضوع آخر قائلا

ـ يحزننى أن لاتنضمي معنا الى المدرسة فانى أستطيع اذ ذاك أن أكتب لك أوراق التاريخ وأنت تكتبين لى الحساب

فانتفضت اليصابات لهذا القول غير انها قالت :

ـ ان هـذا مكان صالح لتعلم التاريخ . . . لقـد حان وقت انصرافي . لاتنس أن تعطي الرسالة لأبيك . سأقول انى انتظرت مدة طويلة قبل أن أجـد أحداً اسلمه الرسالة . . . الى الملتقي ياجودفرى

ـ الى الملتقى يا اليصابات

سارت الفتاة فى طريقها ثم قالت فى نفسها :

ـ أرجو أن يكون قدرأى في المنام فعلا أن أمه هي التى قبلته

ولا عجب فقد أحست اليصابات بفداحة عملها . وكانت طفلة لاتدري شيئاً عن القوات العظيمة المنمشة فى الحياة ولا عن الالغاز المدهشة التى وراءها فعجبت لماذا فعلت هذا الأمر وما هي تلك القوة التى حملتها على القيام بذلك لانها كانت تعلم جيداً أن عاملا

ما دفعها . عاملا ما خارجاً عنها . وقد خيل اليها أن ذاتا أخري داخلها ولكنها ليست إمنها قد تملكتها وحملتها على أن تفعل من تلقاء نفسها مالم تكن تفعله مطلقاً

فكرت اليصابات فى أمرها هنيهة ولما عجزت عن استنتاج شيء من هذه المشكلة هزت كتفيها ونبذت الفكرة قائلة أن جودفري رأى فى المنام أن شبح أمه زاره وانه لايظن أنها ذلك الشبح . وفوق ذلك قررت فى نفسها أن لاتقوم بمثل هذا العمل مرة أخرى . على أن المشكلة هى انها قد ارتكبت هذا العمل مرة وان ارتكابه يدل على وقوع تغيير فى نفسها لم يدرك عقلها الصغير كنهه

. قابلت اليصابات أباها عند وصولها الى المنزل أو بالحرى بعد وصولها اليه بقليل وكان ينتظر المركبة لتقله الى المحطة لمقابلة أحد أصدقائه فسألها هل جاءته برد على خطابه الذى أرسله الى المستر نيت فاجابته انها تركت له الرسالة فى المدرسة لانه كان في الخارج فدمدم المستر بلاك قائلا :

ـ أرجو أن يحصل عليها لان صديقى الذى سيأتى الليلة يدعى انه من علماء فن البناء وأود أن يرافقه الاسقف لمشاهدة الدير . وفى الواقع هذا هو السبب الذي حمله على القدوم الى هنا كما ترين وهو رجل أميركي يهتم كثيراً بالآثار القديمة

فقالت اليصابات

ـ حسن . أن الدير من الابنية الأثرية الجميلة . اليس كذلك يا أبتى ؟ لقد شعرت بان الانسان يسهل عليه التعلم فى تلك الغرفة القديمة الواسعة

فطرأت فى عقل المستر جون بلاك فكرة فقال

ـ هل تريدين الذهاب الى المدرسة يا اليصابات ؟

ـ أظن ذلك ياوالدى . اذ لابد لى من الذهاب الى المدرسة فى أى مكان ما لأنى أكره أولئك المعلمات القاسيات

فأطرق المستر جون هنيهة ثم قال

ـ حسن . انك لاتجرأين على قذف المحابر في وجه المستر نيت كما فعلت مع مس هوك . لقد سافرت وهى حانقة عليك وقد اضطرت الى أن أنقدها خمسة جنيهات لتشترى بها رداء جديداً بدل الرداء الذى تلوث بالمداد

جاءت المركبة اذ ذاك فركبها المستر جون وذهب

كانت نتيجة هذا الحديث ان صارت اليصابات ضمن تلاميذ المستر نيت . ولما عرض المستر جون بلاك الامر على زوجته عارضت في إرسالها الى المدرسة وكانت أكبر حجة ارتكنت عليها هى أن الفتاة يجب أن تتعلم مع فتيات مثلها ولكن المستر بلاك فند هذه الحجة وأراد كعادته أن يعمل على عكس إرادة زوجته فقرر ارسال الفتاة الى المدرسة

ليس هناك شيء كثير يمكن ذكره عن تاريخ حياة اليصابات فى الاعوام القليلة التي تلت ذلك ويكفى أن نقول أن المستر نيت كان رجلا قادراً ماهراً . ولما كانت اليصابات فتاة ماهرة نالت على يديه قسطاً وافراً من العلوم لاسيما فى علم الحساب التى كان كما قلنا لها ولع عظيم به

وفى الواقع لم تلبث اليصابات ان فازت على جودفري وعلى الصبية الذين كانوا معها فى جميع العلوم تقريباً لاسيما في علم الحساب . وكانت تجلس على مقعد وحدها وقت الدرس بعيداً عن قرنائها على أنها تعودت بعد الفراغ من الدرس أن ترافق جودفرى فى أثناء الفسحة وهكذا وجدت نفسها دائماً بجانب الصبى . ولعمرى صار كل منهما يشعر بانه لا يستطيع مفارقة الآخر ان لم يكن بالجسم فبالنفس والروح

تولدت بين هذين الطفلين محبة غير عادية لنا ان نسميها ارتباطاً روحياً . ومع ذلك من الغريب انهما كانا مختلفين فى جميع الاراء تقريباً فقلما اتحدا فى أفكارهما فى موضوع واحد وقلما لم يقم بينهما الجدال على نقطة من النقط

كان جود فرى مولعاً بالشعر بخلاف اليصابات فانها كانت تمله وكانت ميوله نحو الأمور الدينية فى حين كانت ميولها على عكس ذلك . وفى الواقع كانت تميل الى تعزيز أحدى رفيقاتها في المدرسة فى تعريف الدين بانه «فن تصديق الأشياء التى نعرف أنها غير صحيحة» أما هو فكان يعتقد بصحتها ولكن ليس علي الوجه المعروف

بحيث لو كانت لديه قوة التعريف وهو في تلك السن لوصف اعتقاداتنا بأنها خيال للحقيقة

أما اليصابات فكانت لاتهتم بالأوهام بل كانت تبحث وراء الحقائق وعلى هذه الحقائق كانت تبني آراءها فى الحياة وفي الموت الذى يضع حداً لها . ولا ريب فى أن مثل هذه المتناقضات تطرأ على عقول الافراد فيقبلون واحدة ويرفضون أخرى

كانت تلك القبلة التى وضعتها الفتاة على جبين الصبى تنطوي على محض الأخاء أو الأمومة . وفى الواقع قوت هذه الصفة الرابطة بينهما أكثر مما كان ينتظر وتجلت بحيث لم يرتب أحد ممن كانوا حولهما أقل ريب في أن الرابطة التى تربطهما تخرج عن رابطة الصداقة

كرت السنون ومرت الأعوام الى أن بلغ جودفرى واليصابات السابعة عشرة من عمرهما . وكان كلاهما طويل القامة جميل الطلعة ولكنهما كانا يختلفان شكلا وعقلا فكان جودفرى أسمر اللون شاحب الوجه يبدو على محياه سيماء التفكر العميق فى حين كانت اليصابات جميلة الوجه رشيقة لا تخفي شيئاً فى نفسها تنطق بما يدور فى خلدها . وكانت أفكارها تقرأ فى عينيها الواسعتين قبل ان ينطق بها لسانها . وكانت فوق ذلك قادرة تقرأ الصحف وتدرك ما فيها وتهتم بحوادث اليوم اهتماما عظيما لا سيما اذا كانت تتعلق بالامور القومية أو بالنساء وأحوالهن

وكان أبوها لذلك يستشيرها فى أعماله ومشروعاته وكان يفخر

بها ويصغى بسرور الى قولها ويراقب مناقشتها مع ضيوفه فى جميع الامور على اختلافها .

ولشدة اعجابه بها لم يغفل عن الاهتمام بمستقبلها. وقد عول في نفسه أن لا يزوجها الا برجل من الاشراف أو بزعيم من زعماء السياسة لـكى تصير قوة فى البلاد على انه كتم ذلك عن ابنته لانه رأى ان الوقت لم يحن بعد

أصاب جون بلاك فى خلال تلك الاعوام نجاحاً عظيما وأصبح من كبار الاغنياء له سفن وأنصبه في سفن فى كل بحر ومحيط وقد طلب اليه غير مرة أن ينوب عن منطقته في البرلمان ولـكنه رفض ذلك لانه كان يأنس من نفسه عدم القدرة على الخطابة ولانه رأى فوق ذلك انه لا يستطيع الاهتمام بشئونه الخاصة وبشئون بلاده فى وقت واحد ولذالم يجد وسيلة غير تأييد حزب المحافظين الذي وقع علية اختياره وأخذ يمده بالاموال

اشترى حون بعد ذلك رتبة البارونية . ولا يمكننا أن نقول انه فعل غير ذلك لانه دفع فى الحصول عليها خمسة عشر الف جنيه لحزب المحافظين ولم تمض مدة وجيزة حتى صار المستر جون بلاك السر جون بلاك ،

نشرت الصحف قائمة الانعامات وفى مقدمتها اسم السر جون بلاك وفى صباح يوم اذاعة الخبر فى الصحف حدث السر جون ابنته قائلا

— لقد أنعم برتبة البارونية على أبيك يا ابنتى

ثم أراها اسمه فى الديلى نيوزوالتيمس والمونن بوست وغيرها فصاحت اليصابات صيحة الفرح ثم سكتت

فاستطرد السر جون فى حديثه وكان يريد مناقشتها فى الموضوع فقال

ـ ان المال يأتى بالعجب العجاب . فقد أمددت رجال الحزب بشىء من المال وها قد رأيت نتيجة ذلك

فقالت اليصابات

ـ ولكن اخبرنى يا أبتى هل كنت تستطيع الحصول على رتبة البارونية اذا لم تدفع هذا المبلغ ؟

فاضطرب الرجل قليلا ثم نظر إلى ابنته وقال

ـ أظن انك على جانب من الحذق بحيث تستطيعين بنفسك الاجابة على هذا السؤال فان لديك من الحذق والكياسة مايمكنك من معرفة أحوال العالم

فنظرت اليه بعينيها الواسعتين وصاحت قائلة

ـ اذن لهذا السبب اشتريت الرتبة . كنت أظن أن الالقاب تمنح عن جدارة واستحقاق

فقال السر جون وقد اضطرب مرة أخرى

ـ هل كنت تزعمين ذلك ؟ الآن قد علمت الحقيقة وزالت ظنونك . اصغي الى يا إبنتى ولا تكونى جاهلة . أن الالقاب

كغيرها من الأشياء الأخرى ينالها من يستطيع شراءها بأية وسيلة كانت ولا يكلف أحد نفسه مشقة الاهتمام بمعرفة السبيل الذي يصل به الى غايته مادام قد وصل الى هذه الغاية . إصغي اليّ . انك لاترثين هذا اللقب لانك بنت ولكن ليس هذا بأمر ذى بال فانك ستنالين لقباً رفيعاً من طريق أخرى

فتورد وجه اليصابات وصاحت ثم همت بالكلام ولكن أباها رفع يده الغليظة فسكتت ثم قال

ـ لقد أصبت نجاحا عظيما يا إبنتى ولست فى حاجة الى القول بانى رجل من أصحاب الثروة الطائلة . ولعمرى سأزداد ثروة لان السفن مورد عظيم من موارد الغنى وفوق ذلك أنعم على بلقب بارون — ثم أشار الى الصحف — فاذا تقدم حزبي مرة أخرى فلا تمضى مدة وجيزة حتى أصبح من الاعيان (اللوردات)

ثم نظر اليها نظرة فاحص مدقق وعاد الى الكلام فقال

ـ وعلى كل حال فانت جميلة تستطيعين أن تنالى بمالك أى زوج تريدين . والآن أرجو أن تفعلي ذلك وهي مهمتك العائلية . هل فهمت ؟

ـ فهمت يا أبتى انك تريد أن أختار الزوج الذى أريده . . . حسن . أعدك بذلك

فقال السر جون ساخراً :

ـ لك أن تأتى الى المكتب وتختارين من بين موظفي من

تريدين . لاتستخدمي اللؤم معى انك تعلمين جيداً اننى أعنى أى زوج أختاره أنا اذا ما قلت لك : " أى زوج تريدينه " ،. الآن هل فهمت ؟

فقالت اليصابات ببرود :

ـ نعم فهمت انك تريد أن تشترى لى بعلا كما اشتريت لك لقباً . أن الألقاب والأزواج يتشابهون فى شيء واحدوهومتى حصل الانسان على أحدهما لايستطيع التخلص منه ليلا أو نهاراً والآن اعلم يا أبتى اننى أفضل أن اكتسب قوتي كفتاة تشتغل فى المزارع ، أما أموالك فلك أن تنفقها فيما تريد

ثم حدقت بعينيها فى وجهه وغادرت الغرفة

فنظر اليها أبوها وهي خارجة ثم قال في نفسه :

ـ يالها من فتاة غريبة ! ومع ذلك لاتزال طفلة طائشة ولا بد أن يأتى يوم تعرف فيه حقيقة أحوال العالم

الفصل الثالث

«مناقشة وجدال»

تحول جودفرى نيت في خلال سنى المراهقة الى شاب قليل الظنير . وكانت تبدو عليه سيماء النجابة والذكاء في معلومات معينة كالعلوم اليونانية واللاتينية والتاريخ وكان مولعاً بهادا تماً فى حين كان غبياً فى غيرها لا سيما فى علم الحساب أو بالحرى كسولا كما كان يدعوه أبوه .وكان كثير الحياء والسكون في محادثة الناس ان لم يكن موضوع الحديث شيئاً يهمه واذ ذاك يظهر من المعارف وقوة التفكير ما يدهش سامعيه . وقدجبل على الكبرياء فكان يعد الصفح مذلة وقد أدرك السرجون بلاك هذه الحقيقة فأبغضه لاسيما عند مارأى أن أخلاقه تعارض أخلاقه الشخصية ولذا كان لا يدخر فرصة فى صده . وربما كان السبب فى ذلك أنه أوجس خيفة من أن هذا الصبي الغريب سيكون يوماً ما حجر عثرة في سبيل نجاحه

وكان كل من جودفري واليصابات مولعاً بقراءة الكتب . ولم يكونا فى حاجة الى المؤلفات اذ كانت هناك مكتبة عظيمة فى «هوك هول» أنشأها صاحب المنزل الأول واشتراها السر بلاك

مع الصور الأخرى وكان عـدد الـكتب فيها يزداد لأن أحد كبار باعة الـكتب في لندن تعهد بارسال كل كتاب مهم يتم طبعه . ومع أن السر جون لم يفتح كتابا واحداً فقد أراد بعمله هذا أن يظهر أمام زائريه أنه من الفلاسفة أصحاب العقول الراجحة

وكانت اليصابات تقرأ هذه الـكتب وتقرضها لجودفرى ولم تـكن دراستهما سبباً فى اتفاق الأراء بينهما بل بالعكس كانت تفضى غالباً الى الجدال والمناقشة الشديدة التى أفضت الى أعلاء مداركهما وتوسيع أفكارهما

واتفق أن ظهر فى عالم التأليف كتاب عن المريخ وضعه أحد علمـاء الفلك ذكر فيـه ان هذا النجم به مخلوقات تعقل تشبه الانسان . فقرأت اليصابات هذه الفقرة فلم تصدق ماجاء بها وسخرت من مؤلفها فى حين قرأها جودفرى فوصل الى رأى آخر يختلف كل الاختلاف عن رأى اليصابات وقد اشعلت الفكرة فى نفسه نار الحماسة وفتحت باباً واسعا فى عقله فقام ورصد المريخ بالمنظار فرأي أو خيـل اليه أنه رأى مجارى المياه وثلوجا وحشائش حمراء . ثم تلته اليصابات ورصدت النجم فرأت أو أقسمت بأنها رأت لاشئ مطلقا — وبعد ذلك اشتد الجدال بينهما حتى بحت أصواتهما

قالت اليصابات في النهاية

— كل ذلك حديث خرافة . اذا درست علم طبقات الأرض وعلم الحياة وكتاب دروين ,, أصل الاحياء ،، وغير ذلك من

المؤلفات الاخرى علمت كيف خلق الأنسان على هذه الأرض
انه فلتة من فلتات الطبيعة ليس الا

فصاح جودفرى قائلا

—ولم لم تحدث فلتة من فلتات الطبيعة في المريخ أو فى أى
مكان آخر ؟

— ربما . ولـكن اذا حدث ذلك فان هـذه تكون حادثة
أخرى لا شأن لها بنا

قال جود فرى

— لاأدرى . انني أظن أحيانا اننا ننتقل جميعا من نجم الى
نجم . . هذا ما أشعر به على الأقل

فقالت الفتاة

— انك تعنى من نجم سيار الى نجم سيار لأن النجوم الاخرى
كما تعلم ملتهبة . عليك أن لا تعتقد بجميع الخرافات الدينية التى
لا أساس لها

فقال جود فري دون أن يعير قولها هذا اهتماما

هذا هو الانجيل فهو ينبئنا بنفس الشيء وهو اننا سنحي
الى الأبد . . . .

اذن سوف لايلحقنا الفناء لأن الأبدية كدائرة لانهاية لها

ـ ولم لا يا اليصابات ؟ هـذا ما كنت أريد قوله . واذا كنا

ستعيش الى الأبد فلا بد أن نعيش فى مكان آخر وربما عشنا فى تلك السيارات أو غيرها اذ لا يليق أن تترك خالية . وسيأتى يوم توافقينني فيه على رأيي

فنظرت اليه نظرة غريبة ثم قالت .

ـ ربما . أرجو ذلك ياجودفرى . على انى أشعر الآن بانني لاأعتقد شيئاً مطلقاً اللهم الا انى أنا وانك أنت وان أبي هو... ها . انه ينادينى . . . الى الملتقى ياجودفرى

ثم خرجت

أحدثت هذه المناقشة ـ وهي واحدة من مناقشات عديدة ـ تأثيراً عظيما فى حياة جودفرى واليصابات . وكانت الفتاة تقرأ سيرة القديسين والكتب المقدسة وغيرها من الكتب الدينية فلا تزداد الا حيرة وارتباكا . وقد صاحت يوماً ما فى نفسها قائلة

ـ لماذا اصدق مالا أستطيع إقامة البرهان عليه ؟

وقد قالت اليصابات نفس هذا القول لجودفرى مرة فاجابها جوابا حكيما قائلا

ـ عليك أن تستشيري أبى فى المسائل التى لاتستطعين أن تقيمي عليها الدليل

وكان المستر نيت كما قلنا مشهوراً بالذكاء والفطنة ولعمري قلما يوجد في العالم رجل أعظم عطفاً على آراء اليصابات منه فقد كان يقابل كل شيء بالحجة والبرهان ويعاملها بكل عطف ولين

أخيراً أعيته الحيلة ونفد صبره لان الفتاة كانت مشهورة بالعناد والتشبث فى الرأى مثله فقال لها انك لست مسيحية فوافقته على قوله فى غضبها ثم قال لها أن ليس لها حق الحضور فى الكنيسة فانقطعت عنها . وكان المستر نيت لايعفو عمن يعارضه آراءه من تلاميذه فحنق على الفتاة . وقصارى القول لم يحاول أحدهما بعد هذا النزاع أن يخفى بغضه للآخر

وهكذا كانت نتيجة هذه المناقشة التى دارت حول معرفة الحالة الحقيقية للمريخ . على أن هناك نتيجة أخرى لهذه المناقشة فان جودفرى شعر باهتمام شديد برصد الأجرام السماوية فكان كلما جرت مناقشة في المنزل عن أمر مستقبله أعلن عزمه الوطيد على أنه سيشتغل بالفلك . وكان أبوه يتميز غيظا لقوله هذا ويقول له

ـ فى عزمي أن أجعلك أسقفاً مثلى واذا شئت أن تشتغل بعلوم الفلك بعد فراغك من دروسك الدينية فان ذلك لايعنينى . وثق ياولدى بانك أن لم تدخل الكنيسة نفضت يدى منك واذ ذاك لك أن تحتال على كسب معيشتك بأية وسيلة شئت

فقال جودفرى

ـ انى لا أصلح للقيام بالطقوس الدينية

فغضب المستر نيت وقال

ـ هل تعنى انك تأثرت بآراء تلك الفتاة الخبيثة اليصابات ؟

حسن . على كل حال سأجملك بعيداً عن تأثيراتها السيئة . يسرنى أن أقول أن مدرستى الصغيرة قد راجت وأفلحت وانه في وسعى أن ارسلك إلى قسيس سويسري أعرفه لتتعلم اللغةالفرنسية . وقد أخبرنى انه فى حاجة إلى صبي انكليزى لكى يعلمه هذه اللغة ومعلومات أخرى تامة وسأكتب اليه فى الحال . وأرجو أن تنسى فى ذاك الوسط جميع هذه الآراء الخبيثة وأن تصير بعد إتمام دراستك فى الجامعة رجلا نافعاً

لزم جودفرى الصمت كعادته في مثل هذه الامور ولو أن حملة أبيه على اليصابات أثرت فى نفسه تأثيراً شديداً . وقد فكر جودفرى فى نفسه فرأي انه ليس من الصعب مفارقة أبيه عاماً لاسيما اذا كان سيقضى هذا العام تحت ظلال جبال سويسرا . وكان فوق ذلك يرغب فى تعلم اللغة الفرنسوية والوقوف على آدابها ولذا أظهر خضوعاً لارادة أبيه ثم انتهز أول فرصة للانسلال من بين يديه

وكان على موعد مع اليصابات فى دير الكنيسة حيث كانا يعلمان انهما سيكونان في مأمن من مباغتة المستر نيت لهما وكان هذا قد عول على المبيت فى إحدى القرى التى تبعد نحو عشرين ميلا حيث عهد اليه بامتحان تلاميذ مدرسة هناك في اليوم التالى وعليه لما رأي جودفرى أباه قد ركب العربة وسار فى طريقه الى تلك البلدة ذهب للقاء اليصابات فى الميعاد المضروب والمكان المعين

وصل جودفري حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر الى المعبد

الأثرى الجميل فوقع نظره لأول وهلة على اليصابات وهى واقفة وحدها فى الهيكل وسط شعاع من الشمس كان ينبعث من خلال زجاج النافذة الغربية الملون . وكانت ترتدى ثوباً أبيض غير عادى زادها بهاء وجمالا ولكنها كانت عارية الرأس وربما أرادت بذلك أن ترتب شعرها الناعم الغزير على النمط القديم فضفرته جديلتين مقلدة بذلك تمثالا من البرنز لسيدة من أشراف القدماء كانت قد جاءت لرسمه . وقد قلدت هذا التمثال أيضاً فيما يتعلق بأكمام ثوبها الطويلة المدلاة . وقصارى القول كانت ترتدى ثوباً بديعاً عولت على أن تستخدمه فيما بعد فى إحدى حفلات الرقص

وقفت اليصابات فى مكانها هذا بقوامها المعتدل وقد وضعت ذراعيها فوق صدرها الصغير وأضاءت الانوار ذات الالوان البديعة جبينها الوضاح وعينيها الواسعتين فى حين سقطت بقعة قرمزية من النور على صدرها

كانت اليصابات واقفة على هذه الحال وهى غارقة فى أفكارها ساكنة لاتبدى حراكا تبدو فى شكل غريب كأنها ليست من البشر بحيث لم تكد تقع عينا جودفرى عليها حتى جمد فى مكانه وانتفض وتولاه الرعب تقريباً وقال فى نفسه

ـ يا الهى ! أى شىء تشبهه وماذا ترى أن تكون ؟

فطرأ على عقله الجواب في الحال وهو انها تشبه شبح سيدة ماتت قتلا منذ سنين عديدة — لانه رأي اللون القرمزي على

صدرها — وقد وقفت فوق مقبرتها حيث تكسدت عظامها تحلم بشخص ما فرقت يد الموت القاهرة بينها وبينه

تألم الشاب قليلا لهذه الفكرة ومسه شيء من الرعب وخيل اليـه انه يرى يد القدر وقد رفعت فى وجهه وكادت تخمد انفاسه وتخلع ركبتيه . بيد أن هذه الفكرة لم تلبث أن ذهبت واستبدلت بفكرة اخري أقرب من هـذه وأميل الى الحقائق الطبيعة وهي فكرة سفره فادرك أن بعاده عاماً معناه انه سيقضي عاماً دون أن يرى اليصابات وهى مدة هاله طولها . وكان جودفرى يجهل ذلك عندما اخبره أبوه بعزمه عل ارساله إلى سويسرا على انه قد أدرك الآن هذه الحقيقة القاسية المؤلمة

تقدم جودفرى نحو اليصابات فافاقت هذه من غفلتها ثم نظرت اليه وقالت بصوت أرق من صوتها العادى

ـ لقد تأخرت . ولـكن هذا لا يعنيني لانى كنت احلم واظن انى نمت وانا واقفة على قدمي

ثم اشارت إلى التمثال الذى وقفت امامه وقالت

ـ رأيت فى المنام انى تلك السيدة . . . . آه ! ثم رأيت جميع الاشياء . لقد قضت هذه السيدة حياتها بلا مراء وسأقضى حياتى قبل أن يلحقني العطب مثلها والقى فى زوايا النسيان . فقط اريد ان ادفن هنا فتحرق جثتى وتوضع بقاياها تحت ذاك الحجر فان ذلك لا يضيرها

فتألم جودفرى من قولها هذا وانتفض قليلا ثم قال :

ـ دعى هذا الكلام ياعزيزتى

ـ ولماذا ؟ يجب أن نواجه كل شيء . انظر الى هذه الآثار التى حولنا والنقوش . ان معظمها لاناس كانوا فى مقتبل الشباب مثلنا فذهبوا كلهم ونسوا ولو أن بعضهم كانوا من العظماء فى حياتهم . نعم ذهبوا الي الابد ولم يبق لهم أثر الالهم الاسلالة حقيرة من العمال والفلاحين الذين لايعرفون من انبائهم شيئاً

فقال جود فرى بشيء من الحدة

ـ أصدق ذلك بل اعتقد انهم سيعيشون الى الأبد وربما عاشوا مثلى ومثلك في مكان آخر

فابتسمت اليصابات وقالت

— أود أن يكون ذلك . فقد تتحق أحلامي اذ ذاك وتكون أنت ذاك البطل الذي ضاعت لوحته

ثم أشارت الى نصب بجوار تمثال تلك السيدة العظيمة

فنظر جودفرى الي النقش الذى بقى بعدما نزع أهل « كرمول » اللوحة ثم قال مترجماً ما كتب عليه

— كان زوجها . وقد مات في مزرعة « كريسى » عام ١٣٤٦

فصاحت اليصابات صيحة العجب ثم لزمت الصمت

وكان جودفرى فى خلال ذلك يفحص النقش الذى رسم تحت تمثال تلك السيدة ولم يلبث أن قال

— يظهر أنها ماتت قبله بعام . نعم بعد الزواج مباشرة لان النقش يقول انها ماتت بالدماء وعلى ذلك من المحتمل انها قتلت . والآن عليك يا اليصابات أن تقلدى في ردائك هذا شخصاً آخر غير هذه السيدة

فقالت اليصابات

— محض هذيان . ان هذا يثير اهتمامي بالامر . لست أدرى ما أصابها

ـ لا أعرف شيئاً عنها في التاريخ القديم ويكاد يكون ذلك مستحيلا لانه لم يذكر لأحدهما لقب فى الاسمين اللذين نقشا. فأحدهما يقول « ترحموا على روح ادموند زوج فيلبا » والآخر يقول : « ترحموا على روح فيلبا زوجة ادموند » . والظاهر ان اللقب ترك عمداً وقد يكون السبب فى ذلك وقوع حادث غريب يتعلق بالزوجين أراد أهلهما اخفاءه

فأظهرت اليصابات دهشة ثم قالت

ـ إذن لماذا قالوا ان أحدهما مات بالدماء والآخر فى مزرعة كريسى

فهز جودفرى رأسه لانه كان يجهل السبب وفى الواقع لم يستطع معرفته فقد ضاع هذا السر منذ مئات من السنين . واذ ذاك انقطع حبل الحديث وأخذ كل منهما يشتغل برسم التمثال

فرغا أخيراً من مهمتها وتأهبا للخروج من الكنيسة العظيمة بعد أن أخذ الظلام يخيم في داخلها لاقتراب الليل وقد دب

الخوف في قلبيهما وهما وحيدان بين قبور الاموات داخل هذا المعبد القديم . ولا عجب فان هذا الشعور معروف في مثل هذه الأماكن المقدسة منذ بدء الخليقة . فعباد الشمس وعباد الطبيعة والوثنيون ومن جاءوا بعدهم من المسيحيين قد خروا فيها سجدا لله كما عرفوه فى تلك الايام

لذا أحس جود فرى بهذه الرهبة في قلبه كما شعرت بها الفتاة على رغم شجاعتها المعروفة اذ تحولت نحو جود فرى بعد ما أغلقا باب الكنيسة والقت اللوم عليه قائلة وقد ضربت الارض بقدمها

— لقد أثرت اعتقاداتك هذه الخرافية فى نفسي فأنني أشعر بخوف من شيء لا أدرى ماهو مع انني لم أعرف فى حياتى معنى الخوف

فقال جود فرى بلهجة تنطوى على الأسف والندم

— اية خرافات ؟ لا أتذكر انني نطقت بشيء من ذلك

— لا حاجة تدعوك الى ذكرها . انها تكاد ترى مجسمة في عينيك . انني اقرأ على وجهك انك كنت تفكر بالموت ـ والفراق وهو أدهى وأمر ـ وبكل ضروب الاهوال والمخاوف

وكان جودفرى قد تعود مثل هذه الحملات من قبل ويعلم أن اليصابات تقول في غضبها ما تعتقد فقال دون أن تبدو عليه علامات التأثر

— ان هذا غريب . اننى فى الواقع أفكر بالفراق . فسأسافر يا اليصابات أو بالحرى سيبعدنى أبى عن هذه البلاد

ثم تحول نحو الشمس وقد أخذت تختفى وراء الافق وقال

ـ ان الشمس قد آذنت بالمغيب وسوف لا نراها معاً وهى تغرب مدة عام على الأقل. ستسافرين غداً الى لندن اليس كذلك ؟ سوف لا تجديني اذا ما عدت اذ أكون قد سافرت

ـ سافرت! ولماذا ؟ الى أين؟ آه . ما الذى يدعوني الى القاء هذه الاسئلة ؟ لقد شعرت بقرب حدوث شيء من هذا القبيل أثناء وجودى بتلك الكنيسة القديمة المروعة ... ولكن ماذا يهمنى وماذا يعنيى لو قضيت بعيداً عني عاماً أو عشرة أعوام ـ اللهم الا أنك صديقي الوحيد ـ ألا سيما يسرك بلا ريب خروجك من هذا السجن المروع ؟ لا تنظر الى كمخلوق ضعيف وأخبرنى عما هنالك والا . . . والا . . .

ثم سكتت

فقص عليها جود فرى ماجرى بينه وبين أبيه دون أن يخبرها بالطبع ماقاله عنها وكانت تصغى اليه باهتمام فأتمت له ماحذفه بدون مشقة قائلة

ـ لقد عرفت كل شيء. ان أباك يزعم انني أفسد عليك اعتقاداتك الدينية . آه انى أمقت هذا الرجل وأبغضه أكثر من بغضى لأبى وأكثر من بغضك له

فأخذ جودفرى يتلو عليها الوصية الخامسة فقاطعته قائلة

— أكرم أبى ؟ لماذا نكرم آباءنا اذا لم يستحقوا الاكرام ؛

وعلى أى شئ نشكرهم ؟

فقال جود فرى :

ـ على الحياة

ـ ولماذا ؟ ان الله هو الذى وهبنا الحياة فما شأن الوالد فى ذلك وهو ليس الا والد ؛ قد يكون الامر غير ذلك فيما يتعلق بالأمهات انك تدرى انى أحب أمى وهو يعاملها كما يعامل الكلب أو ماهو شر منه

ثم أغرورقت عيناها بالدموع وعادت الى الكلام فقالت :

ـ على أن حديثنا يتعلق الآن بأبيك . وعليه ليست هناك أوامر تفرض على اكرامه.انه يبغضنى كما أبغضه وهذا هو السبب فى انه أراد ابعادك عن هنا.حسن. أرجو أن لاتجد أحداً يفسدك في سويسرا

فصاح الشاب قائلا :

ـ ماهذا ياعزيزتى اليصابات . لا تكونى قاسية الى هذا الحد خصوصا لانه ليست هناك فائدة. انك تتمتعين بكل ما تطمح اليه أية فتاة ـ المال والمركز والجمال . . .

فصاحت اليصابات قائلة :

ـ الجمال ! تقول ذلك وأنت تعلم انى قبيحة الخلقة

فنظر اليها وقال :

ـ كلا ليس هذا اعتقادي . انك جميلة يا اليصابات

فتورد وجهها خجلا وقالت .

ـ عليك أن تنتظر حتى ترى فتاة أخرى فتغير فكرك وتعدل عن رأيك

فقال جود فرى بسرعة

ـ هل ستخرجين ؟

ـ نعم الى مأدبة الازياء (وهي مأدبة رقص يرتدى فيها المدعوون أزياء تاريخيــة مختلفة) — بلباس تلك السـيدة . وكم أود أن أكون مثلها

فقال جود فرى وهو لا يدرى معنى كلامه لشدة حيرته وارتباكه

ـ أما أنا فأقول انك لا تلبثين ان تتزوجى

ـ أتزوج ! يالك من ابله ! أتدرى ماهو الزواج عند المرأة ؟ أتزوج ؟ لا أطيق مثل هذا الـكلام . . . الي الملتقى

ثم تحولت وسارت أو بالحرى فرت واختفت وسط الظلام وتركته وحيداً فى دهشته

كانت هذه آخر مرة خاطب فيها جود فرى اليصابات مخاطبة طويلة . وفى صباح اليوم التالى تلقى منها الرساله التالية : ـ

« عزيزى جودفري

« لا تـكن حانقاً لانني كنت غضبى هذا المساء فقد كدرنى شيء ما فى تلك الـكـنيسة العتيقة وانت تعلم انى حادة الطباع لست

أعنى شيئاً مما قلته وأقول أنه خير لك ان تذهب لمشاهدة العالم بدلا من البقاء في هذا المكان الموحش . اترك عنوانك مع مسز بارسون لاكتب اليك ولكن عليك أن ترد على خطابي والا أعدل عن مراسلتك. الى الملتقي أيها الصديق القديم حبيبتك اليصابات

التى تفكر فيك دائماً

ملحوظة ـ سنسافر في الساعة السابعة والنصف من صباح الغد الى البلدة لنلحق أول قطار

الفصل السابع

« فى حديقة الميدان »

قابل جود فرى اليصابات مرة أخرى قبل سفره الى سويسرا وكان قد تعـين سفره الى « شارنج كرس » فى صباح يوم الاربعاء فبعد ظهر يوم الثلاثاء وصل المســـتر نيت مع الصبى الي فندق « شارنج كرس » وهناك غادره بعد أن أعطاه جواز السفر وقام بجميع لوازمه ثم عاد بقطار المساء

وكان وداعهما يدعو الى شىء من الحيرة . فقد رافق المستر بيت ابنه وخلا به في غرفته العليا من الفندق وهناك ألقى عليه محاضرة كان قد أعدها من قبل بدقة حيث تناولت جميع الواجبات المسيحية وختمها بتحذير من أخطار العالم — من الانسان والشيطان ولا سيما من الاشخاص الذين لا يعتقدون بالاديان خصوصاً اذا كانوا من ملاح الوجوه قائلا

ـ اعلم ياولدى ان المرأة أعظم خطر يتهدد الانسان وهى أحبولة الشيطان الـكبرى يوقع فيها على الاقل أولئك الذين اخشى أن تكون طبيعتك من طبيعتهم . واذا كان من الغريب ان أقول انى

كنت دائماً من المبغضين للمرأة فانني قد تزوجت لأسباب أخرى تختلف عن تلك الاسباب العادية . ان المرأة قد وجدت في العالم كشر لامندوحة عنه. وهي شرك مزوق مملوء بالخبث والخداع ولا اخالك تجهل ان المرأة الاولى أرادت أن توقع آدم معها فأغرته حتى أكل التفاحة بعد أن تهددته بلاريب بالنفوز منه اذا لم يطلع أمرها وقد كانت نتيجة أثمها ان كتب على الانسان ان يأكل خبزه بعرق جبينه

قال جودفرى فى نفسه اذ ذاك أن هناك شيئاً آخر أغرى حواء وانه خير للانسان أن يجد ويكد من أن يمكث عاطلا في جنة الأبدية وأن حب الاستطلاع من الغرائز الطبيعية المشكورة ولعمرى لو كانت اليصابات في مكانه لادلت له بتلك الحجج بلهجة شديدة . على أن الصبي رأى السلامة في السكوت فلزم الصمت

عاد المستر نيت الى الكلام فقال :

ـ وهناك غريزة أخرى امتازت بها المرأة أرجو أن لاتنساها أبداً وهى انه عند ماتظن انها تفعل ماتريده أنت وانها تحبك فانك في الواقع تفعل ماتريده هى وانها فى الحقيقة لاتحب الا نفسها . فعليك ياولدى أن لاتكترث بكلماتها العذبة الرقيقة واحذر بصفة خاصة من دموعها فانها أمضى سلاح وضعه فى يدها أبو الغش والخداع لتسخر من الرجال وتلعب بهم .. هل فهمت ؟

فقال جودفرى متردداً

ـ نعم ياوالدي . ولكن اذا كنت دائما فى معزل عن النساء

كما قلت فكيف عرفت كل ذلك عنهن ؟

فتلجلج المستر نيت قليلا على انه لم يلبث ان قال

ـ علمت ذلك ياولدى من ملاحظتى تأثير أعمالهن مع الرجال

لاحظ جودفرى تغييراً ظاهراً على وجه أبيه فعدل عن مناقشته فى هذا الموضوع ولزم الصمت فعاد المستر نيت الى الكلام فقال

ـ لقد راقبتك ياولدى باهتمام شديد وانى واثق بان هذا هو موطن الضعف فيك . فالمرأة هى الشر ولا تزال الدافع لك على السقوط في مهاوى الرذيلة . وقد كنت وانت لاتزال طفلا تحب مسز بارسون أكثر منى لانها على رغم تقدم سنها وقباحة وجهها من الجنس اللطيف . ثم لما غادرت منزلك صباح اليوم لأول مرة فمن كان حزنك على فراقه أشد ؟ ليسوا زملاءك ولا رفاقك ولكنها مسز بارسون أيضاً . فقد وجدتكما تبكيان وقد احتضن كل منكما الآخر وهو عمل يخجل منه من كان في سنك. اني واثق من انك تشعر بألم فراق تلك المرأة أكثر من شعورك بألم فراق أبيك

انتظر المستر نيت أن يناقضه جودفرى ولما لم يفعل الصبي استطرد فى كلامه فقال

ـ أما تلك الشيطان فى ثوب إنسان ، تلك الافعى اليصابات التي تحول كلمة الله النقية الى سم زعاف وتعض اليد التي تطعمها

فلا أقول شيئاً عنها الا انني سررت ببعادك عنها . فاحذرك من ايجاد أية صلة بينك وبين هذه الفتاة الجاحدة التى لاتعرف معنى الحياء . والتي أفضل أن يتزوج أى رجل تهمنى مصاحته بخادمة تقية على أن يتزوج بهـذه الفتاة مع مالها من الجاه والثروة لانها تقضى باعتقاداتها الشريرة على روحه وتقلب العالم رأساً على عقب إطفاء لنيران أوهامها الخبيثة . والآن على أن أودعك وإلا غادرنى القطار . خذ هـذا هدية منى وعليك أن تقرأ منه إصحاحاً فى كل يوم

ثم ناوله انجيلا مكتوباً باللغة الفرنسوية وعاد الى الكلام فقال

ـ ستجد فيه فائدة لك وعوناً على تعلم اللغة الفرنسـية . وانى الفت نظرك بصفة خاصة الى امثال تتعلق بالموضوع الذى حدثتك الآن عنه وقد أشرت عليه بالقلم الازرق . هل سمعت ؟

فقال جودفرى

ـ نعم يا أبتى . لقد كتب سليمان امثالا عديدة . اليس كذلك؟

ـ هذا هو المعتقد . وقد اكتسبت امثاله قوة من خبرته الواسعة . اكتب الى مرة فى كل اسبوع واذهب الى فراشك على أثر تناول طعام عشائك ولا تتجول لاى سبب فى الازقة والشوارع . . . الى الملتقى .

ثم وضع قبلة باردة على جبين جودفرى وتركه غارقا فى بحار افكاره

نزل جودفرى بعد ذهاب ابيه بقليل إلى غرفة الطعام فى الفندق وتعشى . وقد لقى فى هذه الغرفة ذاك الشر الذى حذره منه والده جالساً امامه فى شخص سيدة جميلة متقدمة فى السن كانت جالسة بجانبه فاخذت تحدثه ولم تمض مدة وجيزة حتى عرفت إسمه ومن هو وإلى أين هو مسافر الخ . ولما علمت انه يقصد مدينة لوسرن أو بالحرى مايجاورها تماماً اهتمت بأمره ـ وكان اسمها مس أجليفى ـ اذ اتفق ان كان لها منزل هناك حيث تعودت أن تقضى معظم أيام السنة . وفى الواقع كانت عائدة بالقطار نفسه الذى ازمع جودفرى السفرفيه في صباح اليوم التالى

قالت السيدة بعد أن أخبرته بكل ذلك

ـ سنكون رفيقين فى سفرنا

فقال جودفرى وقد نظر الى دلائل الغنى التى كانت تبدو من لباسها وحليها الفاخرة

ـ اخشى أن لايكون ذلك ياسيدتى فانى مسافر بالدرجة الثانية وعلىّ ان اقتصد فى نفقاتى بقدر ما استطيع . وفي الواقع أتيت معى بشيء من الطعام فى سلة لكي لا أحتاج الى شراء شيء من الطعام اثناء الطريق

فتأثرت السيدة من قوله على انها دارت تأثرها بان ضحكت واظهرت عدم الاهتمام بالامر قائلة

ـ عليك أن لاتدع ضباط الجمارك يرتابون فى أمرك فيظنون انك تهرب شيئاً فى السلة . ولما كنت أعرفهم جميعاً فعليك أن تلتجيء الى مساعدتى اذا ماوقعت فى مشكلة اثناء السفر

ثم أخذت تستدرجه الى الحديث وفوق ذلك سقته بضع كؤوس من النبيذ الأبيض اللذيذ فاخبرها عن السرجون بلاك وكانت تعرف كل شيء عنه كما أخبرها بشيء عن صداقته مع اليصابات التى قال انها قادمة الى لندن فى هذه الليلة عينها لحضور حفلة رقص

فقالت مس اجليفى

ـ أعرف ذلك وستقام هذه الحفلة فى « دى لينزل » بميدان جرسفينور . وقد دعيت اليها ولكننى لم أستطع الذهاب لعزمى على السفر غداً

ثم قامت وحيته قائلة

ـ لاتتأخر عن ميعاد القطار لاننى سأكون في حاجة اليك لمساعدتى على نقل أمتعتي

ـ ثم ذهبت وهى تبدو فى اعظم مظاهر الابهة والجمال ولو انها كانت تتجاوز الاربعين من عمرها وغادرت جودفرى وهو فى حيرة من اهتمامها به

لم يدر جودفرى ماذا يصنع فوضع قبعته على رأسه ثم سار فى فناء المحطة حيث وقف بجانب عمود وأخذ يراقب تيار الحياة في لندن وهو يتدفق أمامه

ظل جودفرى على هذه الحال نحو ساعة من الزمان كان فيها موضع انتقاد المارة . وقد ارتاب فى أمره أحـد رجال الشرطة فتقدم اليه فى النهاية وقال

ـ إلى أين تزمع الذهاب ؟ ألى الجحيم ؟

فقال جودفرى دون أن يتأثر من قوله

ـ أمامى الآن طريقان وهما السماء (لا الجحيم كما قلت) وميدان جرسفينور وربما كان كلاهما واحداً فان فى كليهما ملاكا

لحدق الشرطى به على انه لم يجد فى شكل جودفري ما يبعث على الارتياب فقال :

ـ حسن . ان هذا المكان لايؤدى الى السماء كما تريد ولكن اذا كنت تريد الذهاب الى ميدان « جرسفينور » فسر في هذه الناحية

ثم أشار بيده الى ناحية الغرب

فرفع جودفري قبعته وقال باحترام

ـ شكراً لك ياسيدي . اذا كان الأمر كما تقول فانني سأدع السماء فى هذه الاونة وأقنع بالذهاب الى ميدان جرسفينور

ثم سار إلى الناحية التى أشار اليها الشرطي مجتازا شوارع

فاخرة وهو يستعلم من المارة عن المكان المعين الى أن قطع عدة أميال . وأخيراً وجد نفسه قبيل الساعة الحادية عشرة في جوار طريق « ادجار » واذ ذاك وجد أن خير وسيلة للوصول الى المكان المعين هي ركوب عربة فاستدعى حوذيا وأمره بالذهاب الى ميدان « حرسفينور »

فقال الحوذى

ـ إلى أي منزل ؟

ـ الى المرقص

سارت العربة حتى وصلت في الوقت المناسب إلى الميدان وسارت حول المرقص إلي أن وصلت إلى منزل كبير حيث وجد جودفرى علامة الافراح في الخارج اذ شاهد سرادقاً عند المدخل وأبسطة أمامه

وقفت العربة فناداه صوت قائلا

ـ هذه هى حفلة الرقص ياسيدى . تفضل اشترك مع الراقصين

فاومأ جودفرى إلى الذى يخاطبه انه يريد التفرج من الخارج على الراقصين وانه لايود الاشتراك معهم

نزل جودفرى من المركبة وأخذ يبحث عن نقود لينقد الحوذى أجرته فتذكر انه نسى الكيس فى حقيبته فى الفندق فاخذ يعتذر ولكن الحوذى كان من الرعاع السفلة فاخذ يسب ويلعن باعلى صوته الى أن التف حولهما جماعة من الرعاع وأخذوا

يسخرون من جودفرى ويرمونه بالخداع والاحتيال

وأخيراً تذكر جودفرى فجأة أن مسز بارسون كانت قد وضعت قطعة من ذات العشرة شلنات فى سترته وخيطت حولها لكي يلجيء اليها وقت الحاجة فخلع سترته وأخذ يحتال على إخراج قطعة النقود وهو لا يبالى بسخرية الملتفين حوله . ولما أعيته الحيلة أعطته سيدة مقصاً فى النهاية فاخرج قطعة النقود وقال للحوذى

ـ خذها وسر فى سبيلك

فتناول الحوذى قطعة النقود وأخذ يفحصها على نور المصباح ولما أيقن انها ليست مزيفة اخذها وسار

حذا جودفرى حذو الحوذى وأراد أن يختفى عن أعين الذين التفوا حوله فابتعد نحو مائة يرد أو أكثر الى ناحية مظلمة من الميدان ثم وقف يفكر في أمره فقال فى نفسه

ـ لقد أذريت بنفسى وهو ما كانت تقوله اليصابات دائماً عند ماتعن لى الفرصة . فقد قطعت كل هذه المسافة الطويلة ليهزأ بى ويسخر منى بدون جدوى .

على انه لم يلبث أن شعر بقوة عزيمته فقال

ـ هذا هو المنزل وفيه اليصابات فلماذا لا أحاول رؤيتها أو مقابلتها ؟

ثم قام فى الحال واجتاز الطريق الى حديقة الميدان وسار فى ظل الأشجار التى غرست هناك

وقف جودفرى تحت شجرة من هذه الأشجار وارتكن على سور الحديقة الخشبي وأخذ يراقب القصر المضيء بالانوار الساطعة وقد تعالت منه أصوات الموسيقى والرقص والضحك ورنات الكؤوس . وقد شاهد جودفرى فى شرفاته المدعوين والمدعوات وقد ارتدوا ثياباً تاريخية تمثل جميع الازياء القديمة فحاول أن يرى اليصابات بينهم ولكنه لم يستطع . وقد يكون السبب فى ذلك انه كان على مسافة بعيدة من القصر أو انها لم تحضر الى الحفلة

انتهى دور من أدوار الرقص ووقفت الموسيقى فازداد ظهور المدعوين فى الشرفات واحتشد آخرون في القاعة التي كان يستطيع جودفرى رؤيتها من الباب المفتوح فلم يلبث ان رأى شخصين يسيران نحو السلم وكان أحدهما يرتدى بذلة فارس فى درع لامعة وهو شاب طويل القامة مليح الوجه حمل خوذته فى يده وكان الآخر اليصابات وقد ارتدت ثوبها الابيض المعروف وحلته بوردة على صدرها وعقد من اللؤلؤ حول جيدها

وقفا على السلم هنيهة وهما يضحكان ويتحدثان الى أن قالت اليصابات

ـ هيا بنا الى الميدان لنستنشق الهواء الطلق

ثم اختفت لحظة لتأتي بالمفتاح ثم عادت فنزلا معاً الى الطريق وكان على بعد ثلاث خطوات من جودفرى باب فناولت اليصابات

المفتاح للفارس فعالج هذا القفل حتى انفتح . وبينما كان الفارس مشتغلا بفتح الباب نظرت اليصابات فيما حولها فرأت خيال جودفرى وهو مرتكن الى سور الحديقة وسط الظلام الحالك فقالت

ـ أري هناك شخصا ما أيها اللورد شارلس

فقال اللورد دون اهتمام

ـ أحقاً ما تقولين؟ ربما كان حوذياً أو شحاذاً فان عادتهم التلكؤ هنا وهناك . هيا بنا فقد انفتح الباب

دخلا الحديقة واختفيا فاتقدت نيران الغيرة فى قلب جودفرى فانسل وراءهما وفى عزمه أن يظهر نفسه للفتاة

وكان حول السور من الداخل شجيرات يليها طريق مفروش بالحصى فسار الاثنان فيه يتبعهما جودفرى عن قرب الى أن وصلا الى مقعد فجلسا عليه ووقف جودفرى وراء شجيرة على بعد نحو عشر خطوات منهما. ولم يكن يريد التجسس عليهما ولكنه خجل أن يريهما نفسه . وفى الواقع وضع أصابعه فى أذنيه لكى لا يسمع حديثهما على انه لم يغمض عينيه . وكان الطريق ينحني حيث جلسا فاستطاع جودفرى أن يراهما بجلاء ووضوح لأن القمر كان ليلتئذ بدراً كاملا

وكانت تبدو عليهما سيماء الابتهاج والفرح . فقد كانت اليصابات تعد بأصبعها منافذ الهواء فى خوذة الفارس وقد قدمها اليها فى حين أخذ هو يعد كذلك لآلئ العقد المدلى على صدرها . ولما

فرغ من احصاء اللالئ صفقت اليصابات بيديها كأنها ربحت منه رهانا ثم أخذا بعد ذلك يتهامسان أوعلى الأقل كان اللورد يهمس في أذنها وهى تضحك وتهز رأسها . وأخيراً أذعنت له على مايظهر اذ خلعت الزهرة التى حلت بها صدرها

انتفض جود فري لهذا المنظر الذى حمله على رفع أصابعه من أذنيه ليمسك بالشجيرة. واتفق انه كسر اذذاك غصن جاف من أغصانها بحيث أحدث صوتا عاليا فقالت اليصابات

ـ ما هذا ؟

فأجابها اللورد شارلس قائلا

ـ لا أدرى . يالك من فتاة غريبة تسمعين وتراقبين كل شيء دائما . أظنها قطة من القطط الضالة لان ميادين لندن كما تعلمين ملأى بها . . . الآن قد حظيت بحب سيدتى فعليها أن تضع الزهرة فى خوذتى طبقاً لعادة القدماء

فقالت اليصابات

ـ لا أستطيع . اذ ليس فى ثوبى دبابيس

فقال اللورد

ـ اذن علىّ أن أقوم أنا بالامر . قبلى الزهرة أولا حسب العادة كما تعلمين

ـ حسنا

فمد يده اليها بالزهرة فمالت اليصابات لتقبلها وحذا هوحذوها

أيضاً بحيث اقتربت شفاههما وكادت تتماس لولا أن حالت الزهرة بينهما

لم يطق جودفرى اذ ذاك صبراً فانسل الى الأمام كالقطة الضالة وقد عول على أن يعكر صفوهما

بيد أنه تذكر فجأة ان ليس له حق التدخل فى أمورهما وان ليس من شأنه أن يتعرض لها وانه بتجسسه هذا قد ارتكب عملا دنيئاً ولذا وقف وراء شجيرة أخرى . ولكن اتفق أن بان وجهه الجميل فى نور القمر وقد رسمت عليه علامات الكآبة والدهشة والخجل فحولت اليصابات وجهها نحوه فرأته

علم جودفرى ان نظرها وقع عليه فتحول فى الحال واختفى فى الظلام ثانية ثم عاد الى باب الحديقة وبينما هو سائر سمع اللورد شارلس يصيح قائلا :

ـ ماذا أصابك ؟

فأجابته اليصابات قائلة

ـ لاشىء . رأيت شبحا . هذا كل ما هنالك انه من هذا الثوب المزعج !

نظر جودفرى خلفه فرآها وقد قامت ونزعت الزهرة من يد اللورد ثم القتها على الارض ووطأتها بقدميها . وبعد ذلك لم ير ولم يسمع شيئاً لانه كان قد خرج من باب الحديقة وأخذ يسير بسرعة فى الميدان ولما وصل الى نهايته سمع صوتاً خشناً يناديه بالوقوف فنظر خلفه فاذا هو الحوذى فتقدم اليه فقال الرجل

ـ أين كنت ياسيدى ؟ لقد بحثت عنك طويلا فقد أعطيتنى نصف جنيه وهو أكثر مما استحق. تعال أوصلك الى حيث شئت

فقال جودفرى

ـ ليس معى نقود أخرى لانك لم تعطنى بقية ما أستحق

فقال الحوذى

ـ لا أسألك أجراً . اركب وأخبرنى الى أين تريد الذهاب

فأخبره جودفرى باسم الفندق وبعد قليل وصل الى "شارنج كرس"، وقد وصل اليه في ساعة متأخرة من الليل

نزل جودفرى من المركبة وهمّ بالدخول فى الفندق فناداه الحوذى مرة أخرى قائلا

ـ اني مدين لك بشئ

ثم قدم اليه نصف الجنيه فقال جودفرى

ـ ليس معى نقود أخرى صغيرة

فقال الحوذى

ـ ولا أنا. لقد عاملتك معاملة سيئة فرميتك بالنصب والاحتيال مع أنك رجل شريف وقد أثر فىّ قولك وأخجلنى ولذا عزمت على أن أرد اليك نقودك اذ استطعت والا لما ذقت الليلة طعم النوم. الآن صرت بريئاً من ذنبك فالى الملتقى . لاتنس أن تذكر توماس سمز فى قلبك دائماً بالخير

فقال جود فرى وقد تأثر من قوله

ـ الى الملتقى يامستر سمز

وكان يخيل الى جود فرى أنه يعرف هذا الحوذي ولو أنه لم يستطع في هذه الاونة ان يتذكر السبب

تحول الرجل بعربته ثم ألهب جواده بالسوط وكان شديد الاضطراب فخرجت العربة بسرعة هائلة

لم يكد جودفرى يخطو أول خطوة داخل باب الفندق حتي سمع صوت اصطدام شديد فهرع ليرى ما الخبر فوجد العربة وقد انقلبت والجواد وقد غرس فى جانبه عمود العربة والحوذي وقد سقط تحتها وهو جثة هامدة

***

ذهب جودفرى الى فراشه فى تلك الليلة منهوك القوى متبلبل الفكر لانه لم يعان من قبل مثل هذه الا نفعالات فى مدة وجيزة وفوق ذلك لم يستطع النوم جيداً اذ رأى خيالات مزعجة باتت تضايقه طول الليل فخيل اليه انه وسط جماعة من الرعاع وقد أخذوا يسخرون منه الي أن جاء سمز الحوذى فانقذه من بين أيديهم وحمله فى عربته وأخذ يسوقها وقد حملقت عيناه وسقط فكه ومزق جانب جواده . ثم رأى بعد ذلك اليصابات والفارس المدرع وقد أخذا يسخران منه ويتراميان بالورود والازهار الى أن خيل اليه انه يرى أباه وقد دعا اليصابات بأنها أفعى صغيرة فضحكت لقوله هذا كما خيل اليه أنهم حملوا سمز ودفنوه فى مدفن « دير الراهب »

استيقظ جودفرى وهو ينتفض خوفاً وفرقاً وقد تصبب

عرق بارد من جبينه ثم أخذ يقدح زناد فكره لكي يتوصل الى معرفة نهايته التى خيل اليه انها قاب قوسين أو أدنى قائلا

ـ اذا كان الحوذى سدز وهو ضخم الجسم قوى البنية قدمات فجأة فلماذا لا يصيبنى ما أصابه ؟

على انه لم يلبث أن تذكر ما جرى بين اليصابات والفارس فى الحديقة فأكلت الغيرة قلبه مرة أخرى وثارت فى نفسه عوامل الانتقام حتى صمم على قتل غريمة واليصابات معاً ولكنه ثاب الى رشده فى الحال ورجع الى محجة الصواب قائلا

ـ ما أشد حماقتى وجهلى ! ماذا يهمنى لو اختارت اليصابات أن تقدم زهرة الى صديق لها فى حفلة رقص ؟ انها ليست ملكا لى بل فتاة اتفق ان تربيت معها فى وقت لم يتيسر لها الحصول على صديق آخر

وكان جودفرى قد جبل على الكبرياء والانفة فعول فى نفسه وصمم تصميما أكيداً على أن يقطع صلته بتلك الفتاة التى قدمت فى ليلة سفره وردة الى رجل آخر لأنه شاب من الاشراف جميل الطلعة حسن الهندام ـ نعم وقبلتها قبل أن تعطها إياه ثم قال

ـ لقد أصاب والدى فيما قال عن النساء . سأعمل حسب وصيته حرفاً بحرف وسأبدأ بحفظ الامثال التي أوصانى بها

استقر رأى جودفرى على هـذه الفكرة فارتاح لها وذهب لينام لان التعب قد أخذ منه مأخذاً عظيما فلم يشعر بشيء بعدها

الا في الصباح عند ماسمع قرعاً على الباب وصوتاً يناديه بان سيدة في الفندق تقول أن عليه أن يستيقظ في الحال اذا أراد أن يلحق القطار

نظر جودفرى الى ساعته فرأى أن ليس أمامه غير عشر دقائق لارتداء ملابسه وحزم أمتعته ولحاق القطار . على أنه تمكن من القيام بذلك كله باعجوبة اذ وصل عند تحرك القطار فوجد مس إجليفي فى انتظاره فى الدرجة الاولى وقد مدت اليه ذراعيها فركب بمشقة وهو يلهث من كثرة الجرى

قالت مس إجليفى

ـ ماذا أصابك حتي لم تحافظ على ميعاد القطار ؟

فقام جودفرى وزرر سترته وقال

ـ لقد عانيت من التعب الشديد شيئاً كثيراً فى تلك الليلة وأصابتنى جميع الاشياء على إختلاف أنواعها

فابدت مس إجليفي اهتماماً عظيما وقالت

ـ ماذا كنت تصنع ليلة أمس ؟

أخذ جودفري وقد كاد قلبه ينفطر يقص عليها ما جرى . وقد استغرقت قصته معظم الطريق إلى دوفر ولما فرغ قالت مس إجليفى

ـ مسكين أيها الصبي !

قال جودفرى فى الحال

ـ لقد نسيت سلة الطعام فى الفندق وأنا جوعان

فقالت مس إجليفي

ـ هنا عربة طعام فى القطار فهيا نتناول طعام الفطور فقد لانجد ميلا إلى الطعام ونحن في البحر أما أنا فلا بد لى أن أتناول شيئاً منه

ولم تكن مس إجليفي صادقة فى قولها هـذا لانها كانت قد تناولت طعام الفطور في الصباح

قال جودفرى بحزن

ـ أن أبى أمرنى أن لا أتناول شيئاً من الطعام على القطارات لكثرة نفقاتها

فقالت مس أوجليفى بلطف

ـ اننى أبوك أو بالحرى أمك الآن

ثم قامت فتبعها جودفرى إلى عربة الاكل حيث قدم اليه طعام فاخر

قال جودفرى فى النهاية

ـ لم تتناولى شيئاً يذكر من الطعام ياسيدتى

ـ لا أستطيع ذلك قبل ركوب البحر لأنى أن فعلت مرضت مرضاً شديداً وتتولى أنت تمريضى . الآن اعلم انك كلما قللت من الطعام كنت بعيداً عن المرض

فقال جودفرى وقد نظر بحزن إلى الطبق

ـ لماذا لم تخبرينى بذلك من قبل ؟ كنت أتوقع اننا سنكون

فى معزل فى السفينة

ـ كلا . من السهل تسوية الأمر

وفى الواقع « سوى الأمر » أثناء الطريق كله إلى لوسرن . فقد حدثت مس اجليفي في محطة دوفر أحد عمال التذاكر بسرعة دون أن يدرك جودفرى بأى حال من الأحوال مافعلت ولكن كانت نتيجة حديثها هذا أن رافقها جودفري طول سفرها الطويل . وكان عبور بوغاز دوفر شاقا فمرض جودفرى فاهتمت به مس إجليفي وخادمتها وخففتا عنه آلامه

تأوه جودفرى عند مارست السفينة فى الميناء الفرنسوى وقال بصوت خافت

ـ من الغريب اننى فكرت ذات يوم أن أكون بحاراً

فمسحت مس اجليفي بمنديلها المعطر جبينه وقالت

ـ أن نلسون كان مريضاً دائما

فدمدم جودفري قائلا

ـ إذن كان ذهابه الى البحر حماقة

ثم شعر مرة أخرى بدوار فى رأسه ولما أفاق وجد نفسه فى الدرجة الاولى فى القطار

وجد جودفرى فيما بعد السفر ملائما وأبدى اهتماما بكل شىء فاخذ يستفهم عن المناظر الطبيعية البديعة التى كانت تري

من نافذة القطار ومس اجليفى تنبئه بكل شيء . ولما فرغا من رؤية المناظر الطبيعية خاضافى حديث آخر . ولم تلبث مس اجليفى ان علمت كل شيء عنه وعن اليصابات مما كانت تجهله بالطبع

نظرت مس اجليفي إلى عيني جودفرى السوداوين وقالت وقد بدأت تناديه باسمه دون تكلف

ـ اخبرنى هل رأيت أحلاماً فيما مضى ياجودفرى ؟

ـ لم أر شيئاً منها أثناء الليل الا بعد قتل ذلك الحوذى المسكين . فقد رأيت عدداً كبيراً من الموتى لان أبي كان يرافقنى دائماً الى المقابر ليذكرنى بنهايتى الأخيرة على أن رؤية هذه المقابر لم تجعلنى أرى أحلاماً من قبل

ـ إذن لم تر شيئاً من الأحلام مطلقاً ؟

فتردد جودفرى قليلا ثم قال

ـ أحياناً أرى أشباحاً لاسيما وقت انفرادي عند الغروب . ولكنى أراها دائماً اثناء انفرادي

فقالت باهتمام

ـ وما هي تلك الأشباح ياجودفرى ؟

فقال الشاب بصوت خافت

ـ لاأستطيع وصفها تماماً . انها تأتى وتذهب فانساها لانها تتلاشى كالأحلام كما تعلمين

ـ لابد أنك تتذكر شيئاً منها . اجتهد فى أن تخبرنى شيئاً عنها

ـ حسن . يخيل إلى اننى بين جمهور كبير من الناس لم أرهم من قبل مطلقاً ومع ذلك أعرفهم ويعرفونني ويتحدثون معى عن جميع الاشياء . فمثلا اذا حرت في معرفة شيء شرحوه لى بكل وضوح وجلاء على انني أنسى بعد ذلك ما قالوا ولا أزداد علما أو معرفة . والظاهر أن هناك يداً تزيل من ذاكرتى كل شيء

ـ هل هذا كل مالديك ؟

ـ كلا . فاننى أقابل أحيانا بعض هؤلاء الناس مثال ذلك الحوذى سمز فانه واحد منهم — ثم توردت وجنتاه وقال — واصفحى عنى إذا قلت لك انك واحدة أخرى . وقدعرفت ذلك لأول وهلة عند ما وقع نظرى عليك لأول مرة وهذا هو السبب الذى جعلنى أشعر الآن بهذه الصداقة من نحوك

صاحت مس اجليفي قائلة

ـ ياله من أمر غريب ! ماأبهجه من نبأ لانك ترى . . .دعنا من ذلك الآن . . .

فنظر جودفرى اليها متوقعاً سماع شيء آخر ولكنها لزمت الصمت فعاد إلى الكلام فقال

ـ وفى بعض الأحيان أرى أماكن قبل أنأراها رأىالعين فمثلا أتوقع أن نمر بعد هنيهة بجانب تل ذى منحدرات صخرية عند القمة ومغشى بالأشجار عند القاعدة . وسنرى ثلاث اكمات

أمامنا والأكمة الوسطى منها مغشاة بالثلج — ثم أغمض عينيه وقال — نعم وهناك قرية عند سفح الوادى بجوار مجرى من المياه وبها كنيسة صغيرة لها مسلة فوقها طائر ذهبي . ثم في استطاعتى أن أرى المنزل الذى سأقطن فيه مع القس بوزيت ومنزلا أبيض قديماً وقد التفت حوله الأشجار والغابات والبحيرة الجميله تحته وفيما وراءه جبل عظيم وهناك شجرة فى الحديقة التى أمام المنزل وهي تشبه شجر الكراز ولكن فاكهتها أكبر من الكراز قليلا

فقالت مس اجليني بارتياب

ـ أظن انه لم يرك أحد صورة فتوغرافية للمكان ؛ انى أعرفه وهو لا يبعد أكثر من ميلين عن لوسرن بواسطة أقصر طريق وهو الطريق الذى يجتاز الغابات . وفوق ذلك هناك شجرة ذات ثمرة لذيذة اكلت منها منذ بضع سنوات

فقال جودفرى

ـ كلا . لم يرنى أحد شيئاً من ذلك . فقط اخبرني أبي أن القرية تسمي «كليندروف» وقد كتب اسمها على حقيبتى

انحنى الخط الحديدى بعدئذ فقال جودفرى :

ـ انظرى . هاهو المكان الذى أخبرتك عنه وهاهى الاشجار والاكمات الثلاث والمجري والكنيسة البيضاء مع الطائر فوق المسلة

فاطلت مس اجايفي من النافذة وشاهدت المنظر ثم لم تلبث ان صاحت قائله :

ـ نعم . انها كما وصفتها بالضبط . آه . لقد وجدت ما كنت أبحث عنه مدة أعوام . جودفرى . انى أعتقد انك ذو موهبة حقيقية

ـ أية موهبة يامس اجليفى ؟

ـ البصر المغناطيسى بالطبع وربما كنت تتمتع بالسمع المغناطيسي كذلك

فاغرب الصبى في الضحك قائلا انه كان يتمني أن تكون تلك الموهبة شيئاً يفيده

الفصل الخامس

« مدام رينس »

في نحو الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى وجد جودفرى نفسه واقفاً على رصيف محطة لوسرن الكبرى

سألته مس اجليفى قائله :

ـ ماذا عولت عليه لكي تصل إلى كليندورف ؟ إنها على بعد خمسة أميال بواسطة الطريق وأظن أنه خير لك أن تأتى إلى منزلى لتتناول طعام الغداء وبعد ذلك أرسلك إلى هناك فى المركبة

لم تكد مس اجليفي تفرغ من حديثها حتي جاء رجل طويل القامة يرتدى ثيابا الكهنوت له أنف محدب كبير يلبس نظارة زرقاء على عينيه وأخذ يحدق اليها النظر ثم قال :

ـ هل أنت من السيدات الانكليزيات ؟ نعم أن ذلك من السهل معرفته ولو انى قصير النظر . هل رأيت ياسيدتى صبياً انكليزياً صغيراً وصل معك في هذا القطار ؟ لقد بحثت عنه فى القطار كله فلم أجده . أن اسمه جودفرى وهو إبن اسقف انكليزى يخاف الله ويسلك الطريق السوي

وكان فى شكل الرجل وطريقة حديثه ما تعافه النفس بحيث

اضطرت مس اجليفي أن تحول رأسـها لتخفي امتعاضها . وبعد هنيهة التفتت نحوه وقالت :

ـ اظن ان هذا هو الصبي الذى تسأل عنه ياسيدي الاسقف

ثم أشارت إلى جودفرى وهو واقف بوجهه الجميل وقدأخذ ينظر بدهشة إلى معلمه فى المستقبل.ولم يكن جودفرى قد رأي فى أحلامه رجلا يشبه المستر بوزيت بأى حال من الأحوال

حدق الاسقف إلى الصبي وأخـذ يفحصه من قمة الرأس إلى أخمص القدم ثم صاح قائلا :

ـ ياالهى ! لقد فهمت انه فتى صغير السن جدا لاشاب كبير يأكل كثيراً ويحتاج إلى أشياء كثيرة . حسن . سيكون رفيق حسن لجوليت وللسيدة أيضاً . ألا ترينه فتى جميل الطلعة تلوح عليه سيماء الذكاء ياسيدتي ؟

فقالت مس إجليفي وكان جودفرى مشتغلا بارتداء سترته

ـ نعم ياسيدى . انه جميل الطلعة ونبيه جداً

ثم قالت للاسقف انها ارتبطت مع الفتى برابطة الصداقة وأنها ترجو أن يسمح بزيارته لهـا متى أراد.ثم أعطته إسمها وعنوانها فصاح الاسقف قائلا

ـ آه مدموازيل إجليفى . السيدة الانكليزية الغنية التى تقطن المنزل الجميل . لقد سمعت عنها ولكن لنرى الآن هل أنت كاثوليكية

أيتها الآنسة لأنني وعدت ان أحمي هذا الصبي من ذاك الذئب الأحمر ؟

ـ كلا ياسيدى . لاتخف . مهما كنت فأنني لست كاثوليكية

ثم قالت فى نفسها

ـ لعمرى لو علمت ما هناك لظننت إننى أشد خطراً

ثم حيا كل منهما الآخر

قال جودفرى وقد تورد وجهه خجلا

ـ أقول يامس إجليفى إنك أوليتنى أعظم جميل ولولاك لفاتنا القطار وفوق ذلك لولا مكرمتك لقضيت المدة من لندن الى هنا جوعان لأنني وعدت والدى أن لا أشترى شيئاً من الطعام أثناء سفري وقد نسيت سلة الطعام كما تعلمين

ـ كلا ياجودفرى . لاتعد عملي هذا من الأعمال التي تذكر فقد سرني أن أرافقك أثناء سفرى . . . وان أتخذك صديقاً . ستأتي لزيارتى اليس كذلك ؟

ـ نعم بالطبع . سأفعل . والآن أرجوك أن تنتظرى لحظة

ثم أخرج كيس نقوده فصاحت قائلة

ـ ماذا تريد أن تصنع ياجودفرى . لا أريد بطاقتك

ـ بطاقة ! ليس لدى بطاقة . أنني سأقدم اليك هدية

فقالت مس إجليفي بلهفة

ـ تقدم إلى هدية ؟

ـ نعم . إنها شيء غريب وقد وجدتها حول عظم عنق فارس من القدماء الذين القوا رفاتهم خارج دير الكنيسة . وقد رأيتها هناك فأعطاها خادم الكنيسة أياى عند ماراى انها حجر . ستجدين بها ثقباً وهذا دليل على انه كان يلبسها كحلية حول عنقه . وكان هذا الفارس مدفوناً فى قبر من قبور الصليبيين على انني لا أعرف إسمه ... ها هي :

ثم قدم اليها قطعة مستطيلة من حجر أسود نقشت عليه رسوم غريبة

فتناولت مس جليفى منه الحجر ثم أخذت تفحصه باهتمام وأخيراً قالت

ـ إنه تميمة . وأظن انه " أدرى " (وهم جماعة خلطوا بين النصرانية ومذهب الماديين والمجوس) إذ قدم رسم عليه ديك ورموز لا أستطيع حلها وربما كانت طلاسم سحرية . لاريب فى أن صاحب هذا الطلسم حصل عليه من الشرق وربما أهداه إياه رجل من العرب . انني أشكرك ياجودفرى وأعدها أعظم هدية قدمت الى

فقال الشاب

ـ إنني مسرور جداً

ـ نعم ولكن يخجلنى أن آخذها منك . ومع ذلك سأخلفها لك يوماً ما

فصاح الشاب قائلا

ـ تخلفينها لى ! إذن ستموتين قبلى . لماذا تقولين ذلك ؟ انك لاتزالين فى مقتبل العمر

فتبسمت ابتسامة تنطوى على الحزن ثم قالت

ـ لأنني سأفعل . إنني أظهر أقوى مما أنا . والآن عليك أن تأتى وتخبرنى كل ما تعرفه عن هذا الطلسم

ـ لقد أخبرتك بكل شيء أعرفه يامس أجليفى

ـ هل تظن ؟ هذا ليس رأيى .... أنظر . إن الاسقف يناديك فالى الملتقى الآن وسأرسل اليك المركبة يوم الأحد المقبل لنتغدى معاً

وجد جود فرى بعد مدة وجيزة نفسه فى عربة عتيقة وسط جماعة من الفلاحات وكان معهم كذلك قسيس من الكاثوليك جلس أمام الاسقف فأخذ كل منهما يرمق الآخر بعداء ظاهرى ككلبين متنافسين

مرت المركبة عند أطراف المدينة بمزار وضع عنده تمثال أحد القديسين فقام القسيس الكاثوليكى وحنى رأسه حتى مست جبهته ركبة الاسقف فكان ذلك سبباً لفتح باب المناقشة بينهما . وقد احتدم الجدال بينهما بحيث استغرق طول الطريق . وليت الامر وقف عند هذا الحد بل اشترك الذين كانوا فى العربة فى الجدال كذلك وانضم كل فريق الى حزبه فعلا الصياح واشتد الهرج والمرج بينهم . والظاهر أن السائق كان قد تعود مثل هذه المشاحنات

الدينية من قبل فلم يعرهم التفاتاً وظل سائراً فى طريقه إلى أن قال
ـها هى قرية ,, كليندورف ،، فلينزل من أراد النزول
فهدأ الاسقف فجأة ولزم السكينة ثم قال مخاطباً جودفرى
ـقدوصلنا الى القريةياعزيزى الشاب
فنزلا من العربة ثم حيي الاسقف القس باحناء رأسه وتمنى له السلامة فرد القس التحية بأحسن منها
سار الاسقف أمام جودفرى نحو المنزل ثم نادى خادمه قائلا
ـجان . جان !
فجـاء رجل سويسرى قوى العضلات فحمل الحقيبة ثم سار الـكل بين الاشجار الى أرض خضراء يجتازها ثم ماذا جرى ؟
رأى جودفري وسط هذه الروضة الخضراء شجرة من أشجار الفاكهة تحمل كرازاً أو برقوقاً كما تنبأ بذلك ثم وجد وراء الشجرة المنزل الأبيض العتيق وقد بدت عليه علامات السكون والهدوء
على أن جودفرى لم يصف فى نبوته السيدتين اللتين كانتا تنتظران وقتئذ قدومه وقد جلستا على ,, الفرندة ،، تستجليان ذلك المنظر البديع الممتد أمامهما وأعني به منظر البحيرة والجبال الممتدة وراءها
كان جودفري يتوقع مما يعلمه عن معيشة الاساقفة ورجال الدين أن يري امرأة فلاحة ذات وجه غليظ متورد وعينان كبيرتان ترتدى ثياباً سوداء ومعها فتاة ذابلة شاحبة الوجه ولـكنه رأى بدلا من ذلك سيدة ترتدى ثوباً باريسياً حديث الطراز لا تزال

تبـدو عليها سيماء الشباب تروق رؤيتها ذات عينـين سوداوين وفتاة من عمره لا تقل عنها جاذبية

وفي الواقع كانت الفتاة عسلية العينين ذات وجه نضر جميل وشعر مسترسل غزير في حين دل صغر يديها وقدميها على ترفهها كما دلت معاشرتها الطيبة على تربيتها العالية

تملك جودفري العجب عند ما وقع نظره على جوليت ـ اسم الفتاة ـ وقال في نفسه كيف تـكون هذه ابنة هـذا الاسقف الشيخ الذى لا يبدو عليه شيء من علامات اللطف وقدنسي أن كثيرين قد لاحظوا ذلك من قبل وبحثوا ونقبوا بدون جدوى ولعمرى كان يجـدر بجودفرى أن يعجب كيف صار ابن والده مع انه لا يوجد في العالم شخصان أعظم منهما تبايناً

تقـدم الاسقف بوزيت يتبعه جودفرى والخادم جان على مسافة ما الى أن وصل الى المنزل فصاح قائلا :

ـ لقدوجدت صديقنا الصغير يا عزيزتى وقد وصل فى القطار سالمـا . وها هو

فقالت السيدة

ـ اننى لا أراه

وقالت جوليت بابتهاج

ـ أين هو ؛ ألا يزال عند الباب الخارجى ؟ قل لى يا أبتى من هذا السيد ؟

فقال الاسقف مازحاً

ـ هو الصبي الصغير ولكن ألا ترينه قد كبر فى القطار

فصاحت السيدة قائلة

ـ يا الهي ! لا أدرى اذا كان طول السرير سيلائم طوله

وقالت جوليت

ـ انه شيء مدهش

ثم نزلتا من "الفرندة" لاستقباله فحيتاه بالفرنسوية . وكانتا تتكلمان بلهجة سريعة فلم يدرك جودفرى معنى ما قالتاه على أنه أدرك مما أظهرتاه نحوه من العطف فرفع قبعته لكل منهما وقال

ـ نعم . صباح الخير

وهما الكلمتان اللتان استطاع أن ينطق بهما باللغة الفرنسوية

قالت جوليت بجلال وعظمة

ـ انني أتكلم اللغة الانكليزية

فقال جودفري

ـ يسرنى ذلك كثيراً . وسأتعلم أنا كذلك اللغة الفرنسوية عما قريب

على هذه الصورة استقبل جودفرى الى منزله الجديد فى "كليندورف" حيث لم يلبث أن تمتع بوسائل الهناء والسعادة. وقد برهن المسيو بوزيت على رغم هيئته الغريبة ودميم خلقته

على أنه رجل دمث الأخلاق رقيق الطباع وفوق ذلك كان عالما كبيراً من علماء الفلك وكان لديه منظار كبير ركبه فوق مكان مرتفع فوق قمة صخرية ترتفع الى مسافة مئة قدم أو أكثر فى جوار المنزل . ولم تكن هذه الآلة من الآلات الكبرى على أنها كانت ذات قوة تكفى لرصد مئات من الاجرام السماوية العادية التى لا ترى بالعين المجردة

وكان جودفرى كما يذكر القارئ مولعاً بعلم الفلك فزاد ابتهاجه وحبه لمعلمه الشيخ فكانا يجلسان معا فى هذا المرصد الليلة بعد الاخرى لرصد النجوم ويدونان ما يريانه . وقد وجد جودفري من نفسه ميلا الى الاعمال الحسابية التى كانت تعافها نفسه من قبل فكان يكتب نتائج إبحاثهما

شعر جودفرى لاول مرة أثناء ابحاثه بعجائب الكون . فكان ينظر الى الاجواء وسير الكواكب وشروق الشمس التى تحترق فى أعماق الفضاء فيتملكه الفرح والدهشة معاً ويقول في نفسه : تري هل هذا ما سيرثه الانسان ؟ وهل لنا أن نزور هذه الكواكب فى شكل مجهول وفى وقت لا نعرفه ؟ أو هل ستبقى الى الابد بعيدة لا سبيل الى الوصول اليها ؟

هذا ما أراد جودفرى الوقوف عليه وقد وجد أن علم الفلك هو الوسيلة الوحيدة التى يستطيع أن يصل بها الى حل هذا السر وتفسير هذا اللغز فقط لو استطاع كيف يجتاز الباب

ولم يكن جودفرى من المولعين بالعلوم الطبيعية أو بمعرفة أخبار النجوم فى حد ذاتها بل كان جل همه الوقوف على تأثير هذه الاجرام فيه وفى الجنس البشرى الذى هو أحد أفراده . وبعبارة أخرى كان يبحث عن جواب للسؤال القديم وهو : هل نحن ذرية أرضنا هذه الصغيرة، كتب علينا الفناء والموت لنتلاشى كما تتلاشي الارض يوماً ما ؟ أو هل نحن أبديون ـ مهما أصابنا من التغيير ـ مثل الكون و "القدرة" التى خلقته مهما كانت صفة هذه القدرة ؟ هذه هى مشكلته وهي المشكلة نفسها التى حيرت كل شخص واسع المدارك كبير العقل . وقد لازمته هذه الفكرة بحيث كان يجلس وهو منكب على وجهه يبحث وينقب عن الجواب الذى لم يعثر عليه بعد

وجدته جوليت مرة على هذه الحال وكانت قد جاءت الى المرصد لتخبره أن طعامه فى انتظاره فمكثت مدة تراقبه دون أن يشعر بها وأخيراً سمته بالبومة لكثرة إيوائه الى هذا المكان المنفرد ثم قالت

ـ بماذا تفكر يا جودفرى ؟

فانتفض الشاب ثم انتبه الى التى تخاطبه وقال وقد تورد وجهه خجلا

ـ إنى أفكر فى أمر النجوم والانسان

فصاحت الفتاة قائلة

ـ يا إلهي ! أظن أنه يكفي درس أحوال الانسان بدون النجوم الى لم نصل اليها

ـ من أين علمت ذلك أيتها الآنسة ؟

ـ عرفت ذلك لاننا هنا وهي هنالك بعيدة جـداً عنا . ثم نموت وهى لا تزال تجرى في الفلك الى الأبد

فسألها جودفرى بلهجة تنطوى على الجد قائلا

ـ ما هو الفلك وما هو الموت والزمن ؟

فقالت جوليت مرة أخرى

ـ يا إلهي ! تعال تناول عشاءك قبل أن يبرد

ثم قالت في نفسها

ـ ياله من فتى غريب !

أخذ جودفرى في خلال ذلك يعالج مشكلته العويصة . ولما انطلق لسانه فى تكلم اللغة الفرنسية وكان الفضل فى ذلك لجوليت وأمها طرح المسألة أمام الاسقف الشيخ فقال هذا

ـ ان الجواب الذى تنشده يا ولدى مسطر في كلمة الله

ـ نعم . أعرف ذلك ولـكن هذا لا يكفني . أنى أود الوصول الى الجواب بنفسى

فرفع الاسقف نظارته الزرقاء عن عينيه ونظر الى الشاب وقال

ـ أن مثل هذه الابحاث خطرة . خير لنا ياجودفرى أن نصدق ونؤمن

ـ لماذا تلومون إذاً من يخالفكم فى اعتقاداتكم ؟

ـ لانهم لايعتقدون الحق ولا أساس لما يعتقدون

ثم أخذ الاسقف يطيل الحديث وجودفرى يصغى اليه باهتمام إلى أن كل الاسقف وتعب من كثرة الحديث فقال فى النهاية

ـ هل اقتنعت ياجودفرى ؟

ـ لاادرى . أن المشاحنات القائمة بين المـذاهب والأديان قد أربكت عقلى . انني أؤمن بالله وبالحياة فى المستقبل ولكننى لا أرى هناك أهمية فيما يتعلق بالطرق التى يسلكها الانسان للوصول اليهما مادام يسمى طريقاً

فنظر الاسقف اليه نظرة تنطوى على الاضطراب وصاح قائلا

ـ انني واثق بانك لاتكون سمكة تقع في الشبكة التى رأيت تلك المناكرة تلقيها حولك ! آه . بماذا أجيب والدك ؟

فقال جودفرى

ـ كن مطمئنا يا سـيدى . انى لاأتخلى عن إعتقادى على أن هـذا لايمنعنى من أن أقول أن أصحاب المذاهب الاخرى أناس صالحون وأن مذهبهم لايقل عن المذاهب الاخرى في نظرهم

ثم انتحل جودفرى لنفسه الاعذار وغادر الاسـقف فى حيرة وإرتباك

قال الاسقف فى نفسه

ـ انه مخطئ كل الخطأ ولـكن ومهما يكن من الامر يجب

الاعتراف بان الصبي كبير العقل زكى الفؤاد

***

ان الذين يبحثون وينقبون باهتمام كاف يصلون بلا ريب في إبحاثهم إلى شيء فى النهاية ولو انه يحتمل أن الطريق الذي يجدونه يجري في اتجاه غير صحيح أو يتبين استحالة اجتيازه أو يدور حول مهاوى وأخاديد أو على حافة ربوات شديدة الانحدار لا يلبث السائر فيها أن يتدهور أو يصل فى النهاية إلى طريق لامنفذ له . وهذه النظرية تنطبق على جودفرى كما تنطبق على غيره ولنا أن نسمي الطريق التى عثر عليها : مس اجليني

جاءت مركبة جميلة يجرها جوادان من أحسن الجياد فى الميعاد المضروب — يوم الأحد — إلى منزل الأسقف على أثر خروج العائلة من الكنيسة الصغيرة فتنهدت السيدة عند رؤيتها لانها كانت تتمني أن يكون لديها مثل هذه المركبة . أما جوليت فقد حملقت بعينيها وصاحت قائلة

ـ ما أجمل هذين الجوادين ! لماذا يملك بعض الناس جيادا جميله فى حين لا يملك غيرهم جحشاً صغيراً ؟ لماذا لا يكون لك مثل هذه العربة ياأماه مع انك حدثيني عنها كثيراً ؟

فعضت السيدة على شفتها وهمست في أذن ابنتها قائله

ـ إمسكي لسانك

ثم لم تلبث ان خاضت فى الكلام عن مس إجليفى . وأخيراً ركب جودفرى العربة فسارت به إلى منزل الآنسة إجليفي وكان منزلا بديعاً شـيد وسط الحدائق التى تؤدى إلى البحيرة يشرف على المناظر الجميلة التى تحيط بمدينة لوسرن وكانت غرفة واسعة عالية مزينة بصور بديعة ورثتها صاحبة الدار ومجموعة من الاثاث الفرنسى العتيق . وقصارى القول كان المنزل من التصور الفاخرة التي لايمتلكها غير أصحاب الأموال الطائله من الأمـيركيين أو الانكايز الذين يختارون المقام فى الخلوات لاسباب صحية

سمعت مس إجليفى صوت العربة فخرجت إلى الردهة الخارجية لاستقباله . وكانت ترتدى ثوباً بسيطاً رمادياً غاية فى الابداع وحول عنقها ذاك الحجر أو الطلسم الذى أهداه إياها جودفرى

حيته مس إجليفى قائلة بصوت عذب رقيق

ـ يسرنى أن أراك يامستر جودفرى

فأجابها قائلا

ـ وكذا يسرني رؤياك أيتها الآنسة . كنت أقصد زيارتك

ثم تفرس فى وجهها وقال

ـ مالى أراك متوعكة المزاج ؟

فتبسمت وقالت بصوت خافت

ـ أصابنى برد على ما أظن أثناء السفر . الاترى إننى مريضة وان هذا هو السبب في مقامي هنا . إن فى سويسر كثيراً من أمثالى

مصابين بالأمراض الصدرية كما تعلم ولكن دعنا الآن من الحديث هنا شخصان أو ثلاثة ستظن أنهم من أصحاب الاطوار الغريبة بلا ريب فتعال أعرفك بهم

فتبعها جودفرى الى القاعة الجميلة ذات النوافذ الفرنسية المزدوجة التى صنعت لمنع تسرب برد الشتاء وكانت تطل على الحديقة اليانعة . ولم يكن جودفرى قد شاهد من قبل مثل هذه القاعة البديعة فتأثر بشعور لم يدرك كنهه فى هذه الساعة وكل ما هنالك أنه أحس بأمور مرتبكة عن الماضى والمستقبل لايدرى ما هي

على أن المكان كان بهجاً جميلا يأخذ بمجامع القلوب تحيط به الأزهار وكل أسرار الطبيعة لا ينقصه إلا الصوت الجميل

رأى جودفرى عند طرف المكان ثلاثة أو أربعة أشخاص كلهم من المتقدمين فى السن ولم يلبث إن جذبت أنظاره امرأة بينهم وكانت غليظة الجسم حجب شعرها الاشيب جبهتها الغليظة التى كانت تلمع تحتهما عينان سوداوان حادتان . وكانت ترتدى ثوباً أخضر وفى عنقها عقد من الزمرد . وقد أحس جودفرى عند ما خطا أول خطوة في الرهة الطويلة بعينى تلك المرأة تحدقان اليه فلم يسعه الا أن استفهم من مس إجلينى عن إسمها

فأجابته قائلة

ـ هذه مدام رينس المشهورة بالتنويم المغنطيسي

فصاح جودفرى صيحة العجب إذ لم يدرك تماماً من ماتعنيه السيدة بقولها

وكان مع مدام رينس هذه رجل أميركى نحيف الجسم متقدم فى السن اسمه الكولونيل سمث ورجل دنماركي ضخم الجسم يتكلم الانكليزية بلهجة المانية اسمه الاستاذ بتريسون . وقد فحص كل هؤلاء جودفرى باهتمام عظيم غير عادى لأن الحياء كان غلب عليه عند ما تقدمته مس اجليفي لتعرفه بهم وتعرفهم به . وقد شعر الشاب بوحشة ورهبة منهم اذ رآهم ينظرون اليه نظرة من يطمع بشيء.ثم لم يلبث أن تذكر صورة رآها فى كتاب ديني كانت تمثل رجلا من رجال الدين تقوده إمرأة من يده وهى تبتسم إلى جماعة من المتوحشين كانوا يريدون طبخه وأكله

وكان في تلك الصورة قدر كبير يغلى بالماء فوق موقد كبير فنظر جودفرى فيما حوله متوهما ذاك القدر ولكنه لم ير شيئاً غير وعاء من الزهر وضع فوق طاولة صغيرة فى مكان خال وقد صف حولها ستة كراسي بينها كرسى كبير له ذراعان . ولو كان جودفري يعلم ماهنالك لادرك ان هذا الكرسى هو القدر

لم يكد جودفرى يفرغ من تحيتهم حتى دعى الجميع إلى تناول الغداء فدخلوا غرفة أخرى فاخرة حيث قدم اليهم طعام جيد لذيذ . وكان الحديث الذى دار حول المائدة عاديا وباللغة الانجليزية

ولـكن سرعان ماتحول إلى بحث لم يدركه جودفرى عن الأرواح

وقد ادعى الـكولونيل سمث بتجول الأرواح فى حين انكر الاستاذ بترسون ذلك عليه قائلا انه باحث كثيراً من عقلاء الالمان فانكروا الأرواح

فتنهدت مس إجليفي وقالت

ـ آه . انهم يطلبون الاشتراك مع زملائهم «العنصرين» ولو انهم يجهلون ذلك ثم لاتمضى مـدة وجيزة حتى يتغلب هؤلاء « العنصريون » عليهم ويقطعونهم أربا كما قطعت الاسود الذين أرادوا تعذيب النبي دانيال فى الجب

وقد تذكر جودفري فى السنين التالية هـذا القول كنبوة واضحة مع انه فى هذه الاونة لم يدرك معناها

أخيراً تدخلت مدام رينس وهي نصف روسـية ونصف فرنسية فقالت بصوت غليظ جهورى :

ـ ماذا يهمنا ياأصدقاء روحى : سنذهب عما قريب إلى حيث توجد الأرواح أما أمور هـذه العالم فلاتهمنا . لاأدرى من منا الذى سيعلم الحقيقة أولا ؟

ثم أخذت تحدق فى وجه كل منهم على التوالى وهى عملية سببت لهم انزعاجاً على ما يظهر لأن نظراتها كانت تشبه نظرات الساحرة المتوحشة . وفي الواقع أخذوا يتهامسون عنها فيما بينهم ولكنها لم تعرهم إهتماماً . ولما فرغت من فحص جودفرى وقد

أحس بقشعريرة شديدة فى جسمه من هول نظراتها تحولت نحو مس اجليفى فاجفلت منها أيضا وأخيراً صاحت المرأة فجأة وقد اهتز جسمها قائلة

ـ تملكتنى «القوة» وهى ترشدنى انك ستكونين الاولى أيتها الأخت هيلانة فانى أراك بين «زنابق الابدية وخمر الحياة» يجري فى عروقك

لم تكد مس إجليفي تسمع هذا النبأ حتى وقف «خمر الحياة» على مايظهر عن الجريان في وجهها وعلى كل حال علت وجهها صفرة الموت ثم وضعت يدها على منكب جودفرى كما لو كانت على وشك الاغماء ثم أفاقت قليلا وقالت بصوت خافت

ـ لقد زعمت ذلك ! ولكن ماذا يضيرنى اذا كانت الهوة عظيمة مروعة ؟

ثم قامت بشق النفس وهي تترنح قائلة

ـ هيا بنا إلى غرفة الاستقبال

فتبعها الجميع إلي هناك وأخذوا يدخنون . وكانت مدام رينس تدخن السجارة تلو الاخرى بسرعة غريبة ولما فرغت قرعت مس اجليفي الجرس فجاءها الخادم فهمست في أذنه شيئاً بالفرنسية فحنى رأسه وذهب

وقد خيل إلى جودفرى انه سمع الخادم يقفل الباب وراءه ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك

الفصل السادس

« التجارب »

قالت مدام رينس :

ـ هيا نجلس حول المنضدة لنتجاذب أطراف الحديث

فقام الجميع إلي الردهة الخاليـــة حيث كان وعاء الزهر الذي ذكرناه وقد نقلته مس إجليفى الىمكان آخر ثم جلس الجميع حول المنضدة الصغيرة . وكان جودفرى يسير ببطء وراءهم فلما وصل وجد — ولا ندري اتفاقاً أو عمداً — ان المكان الوحيد الخالى هو الكرسي الكبير فتردد في الجلوس عليه فقالت مدام رينس بصوت كالجرس

ـ اجلس ياسيدى الشاب

فاطاعها وجلس . وبعد هنيهة تحولت مدام رينس نحو مس إجليفي وقالت :

ـ اسدلى الستائر حتي لايرانا أحد

فاطاعت أمرها ولم يلبث الجميع ان رأوا انفسهم فى غرفة صغيرة مظللة منعزلة عن بقية المنزل

قالت مدام رينس :

ـ اخلعي هذه التميمة من عنقك واعطها إلى المستر جودفري الشاب

فقال جودفري وقد بدأ يشعر بقلق واضطراب

ـ ولكنني أعطينها اياها ولا اريد ردها

فقالت المرأة بلهجة تنطوي على الجد

ـ افعل ماأمرتك به

ولما اذعن لارادتها قالت

ـ الآن . انظر إلى عيني قليلا وإصغ إليّ . إنني أطلب اليك أن تمسك هذا الحجر الأسود المنقوش في يدك ثم ترسل روحك إلي الأيام الخالية لتخبرنا من أين جيء بهذا الطلسم ومن امتلكه وما هو الدور الذي لعبه أصحابه في حياتهم وكل شيء يتعلق به

فقال جودفري بتبرم

ـ من أين لي أن أعرف كل ذلك ؟

بيد أنه لم يلبث أن رأى كل شيء قد تلاشى أمامه ورأى نفسه واقفاً في صحراء بجانب صخرة كبيرة ورأى رجلاأسمر يحمل آلة حادة من البرنز أخذ يقطع بها الصخرة ثم لم يلبث أن التقط قطعة منها ونظر اليها بارتياح . وبعد ذلك تلاشي هذا المنظر من أمامه

وكان جودفري يقص على سامعيه مايرى باهتمام وهم يصغون اليه باهتمام عظيم كذلك

قالت مدام رينس

ـ هذه قصةوجود الحجر . استمر في حديثك أيها السيد الشاب

رأي جودفرى منظراً آخر أمامه فشاهد غرفة واطئة أمامها شئ يشبه " الفرندة "، سقفها من القش ووراءها رحبة صغيرة توصل الي شارع صغير يسير فيه أناس يرتدون ملابس غريبة . وكان فى هذا الشارع رجل طاعن فى السن نحيف الجسم قصير القامة وضع إمامه منضدة صغيرة من الخشب عليها قطعة من الحجر الأسود وهى نفس القطعة التى رآها جودفري . وكان بجانب الرجل أدوات الحفر والنقش فأخذ يشتغل بنقشها وتنظيفها بقطعة من القماش الخشن والزيت ثم جاء شاب فابتاع الحجر من الشيخ ونقده عملة قديمة ثم سار داخل رحبة المنزل

رأي جودفرى بعد ذلك مناظر أخرى الواحد تلو الآخر . وقد ظهر هذا الطلسم فيها كلها فى أيدى الذين تناقلوه . وكان بعض هذه المناظر يتعلق بالحب وغيرها بالاحتفالات الدينية وغيرها بالحروب وفي إحدى المرات باعته امرأة طاعنة فى السن أثناء حصار إحدى المدن برغيف من الخبز وقد بكت لفراقه

رأى جوفرى بعد ذلك رجلا من الأعراب وقد عثر على الحجر بين انقاض حائط مهدم كان يهدمه بفأسه ليفسح الطريق للماء الى حديقته وبعد هنيهة مر به رجل بعمامة فأراه الحجر فأخذه منه ووضعه بين طيات ثيابه

رأى جودفري بعد ذلك هذا الرجل نفسه يقاتل فارساً مدرعاً

بالورد . وكانت المعركة جميلة وصفها جودفرى وصفاً بديعاً وقد انتهت بقتل الرجل الأعرابى اذا أطار الفارس رأسه بسيفه وكان الحجر الأسود داخل العمامة فالتقطه الفارس وأخفاه . وبعد ذلك رأى جودفرى هذا الفارس نفسه وقد صار شيخاً طاعناً في السن ثم مات وحمل الى المدفن وكان يرتدى الدرع نفسها التى كان يرتديها يوم المعركة وعلى صدره الحجر الاسود وقد ثقب الآن عند طرفه

وأخيراً رأى جودفرى خادم الكنيسة وقد عثر على الحجر بين عظام الفارس فأعطاه إياه (لجودفرى) وهو طفل صغير وبعد ذلك تلاشى كل شئ

قال الكولونل سمت

ـ أرى ان صديقنا الشاب أما أن تكون لديه قوة الاستطلاع أو يكون من الروائيين المشهورين . وعلى كل حال إذا أردت أن تستغني عن هذا الطلسم أيتها الآنسة فأني أنقدك فيه خمسمائة ريال على شرط أن يكون صحيحاً

فتبسمت مس إجليني وهزت رأسها ثم مدت يدها وأخذت الطلسم صاحت مدام رينس بغضب قائلة

ـ الزم الصمت أيها الأخ سمث . لو كان الحجر مغشوشاً ألم يكن فى استطاعتى معرفة حقيقته ؟ انها رؤيا حسنة ولو أنها ليست

كاملة ومع ذاك هناك أمل . هناك أمل . . . لنرى الآن . تكرم أيها السيد الشاب ان تنظر فى عيني

فوجد جودفرى قوة قاهرة قد حولت رأسه نحوها ثم نظر اليها فأحس بعد هنيهة بدوار في رأسه لم يتذكر شيئاً بعدها

لما استيقظ جودفرى وجد الستائر مرفوعة ورأى السائق يأتى لهم بالشاى . وكانت مس إجليفي جالسة بجانبه تنظر اليه بقلق فى حين أخذ الباقون يتحدثون معاً بشىء من الأهتمام

قالت مدام رينس

ـ ما أعظم فوزنا . لقد اكتشفنا لؤلؤة لا تقدر وكنزا لا يحصى

أسكتو ! انه استيقظ

تثاءب جودفرى وكان يشعر بانتهاك قوته وانحطاط فى حسمه ثم قدم اليهم المعاذير عن نومه فأكد له الأستاذ بترسن والكولونيل سمث إن هذا شىء عادى في يوم شديد الحر كهذا . أما مدام رينس فقد ابتسمت كابتسامة أبى الهول وسألته عما اذا كانت أحلامه لذيذة فأجابها بأنه لا يتذكر شيئاً

أما مس إجليفي فلم تقل شيئاً وأخذت تشتغل بشرب الشاى ولما فرغوا أحس جودفرى بانتعاش غريب وكذا بعد تنزهة فى الحديقة قبيل وصول المركبة لنقله الى « كليندورف »

عاد جودفرى الى غرفة الاستقبال ليودعهم فوجدهم مشتغلين بالاصغاء الى مادون فى أوراق مكتوبة كان يتلوها عليهم الكولونيل سمث

قالت مدام رينس وقد أبدت حركة غريبة قبل أن تضع يدها الغليظة فى يد جودفرى

ـ الى الملتقى أيها الأخ الشاب . أرجو أن أراك يوم الأحد المقبل . هل تعدنى بالقدوم ؟

وكان جودفرى يخشى هذه السيدة ولا يود رؤيتها فى يوم الأحد المقبل فقال بامتعاض

ـ لا أدرى

فنظرت بعينيها الغريبتين وصاحت قائلة

ـ آه ولكني أريد قدومك أيها الأخ الشاب لانه يسرنى رؤيتك

فعلم جودفرى أنه لابد من القدوم اذلا مندوحة من ذلك

رافقته مس إجليفي الى الردهة فقال جودفرى

ـ لماذا تدعونى تلك السيدة « بالأخ الشاب » ؟

ـ آه هذه عادتها . أظنك قد لاحظت انها تدعونى «أخت»

فقال جودفرى بلهجة تنطوى على الجد

ـ لا أظن إننى أدعوها أختاً . إن شكلها يدعو الي الانزعاج

ـ ستجد غير ذلك إذا ماتوثقت عرى الصداقة بينكما . انها ذات قلب رقيق ومواهب غريبة

إن المواهب التى تجعل الناس يقولون لغيرهم إنهم سيموتون ليست مواهب تشكر يامس إجليفى

فانتفضت السيدة قليلا ثم قالت

ـ أقول الحق اذا كانت روحها تحضر فانها تقول ما ترى . وعلى ذكرى ذلك لا تقل شيئاً ياجودفرى عن هذا الطلسم والقصة التى رأيتها عنه لا في كليندورف ولا فى خطاباتك التي ترسلها الى انكلترا

ـ ولماذا؟

ـ لان النـاس الذين يماثلون أباك والاساقفة بالاجمال عرضة لسوء الفهم . فهم يظنون أن هناك طريقاً واحدة لمعرفة ماوراء العالم وان كل طريق آخر خطأ . وإنى واثقة أيضاً من أن صديقتك اليصابات بلاك تسخر منك اذا ماعلمت ذلك

فصاح جودفرى عند ذكر الفتاة قائلا

ـ لقد صممت على أن لا اكتب حرفاً واحداً الى اليصابات

فتبسمت مس إجليفى وقالت

ـ ولكن من المحتمل أن تكتب اليها فيما بعد . وعلى كل هل تعدنى بذلك ؟

ـ نعم إذا شئت يامس إجليفى ولو اننى لا أري أهمية لذلك . ان هذه الترهات تساورنى إذا مافكرت فى الأشـياء العتيقة . وقد قالت اليصابات ان السبب فى ذلك سعة الخيال لدى

ـ خيال ! ماهو الخيال ؟ حسن . الى الملتقى ياجودفرى . ستصل المركبة اليـك يوم الأحد المقبل في الميعاد نفسه . وربما قابلتك قبل ذلك لانى عولت على زيارة مدام بوزيت

سار جودفرى وقد شعر بتوعك لم يكن خالياً من لذة لا يعرف

سببها . وقد رأى فى المنام تلك الليـلة مدام رينس وهى واقفة بجانب فراشه تراقبه بعينيها المتقدتين فكان حلماً مروعاً

برّ جودفرى بوعده . فقد سألته مدام بوزيت وغيرها عن تفاصيل زيارته لمس إجليفى فلم يقل شيئاً عن الطلسم واقتصر على وصف المنزل البديع وما أظهره الضيوف من المهارة العقلية . ثم أخبرها بأن مس اجليفى تنوى التشرف بزيارة « البيت الأبيض » فسرت السيدة بهـذا النبأ إذ كانت تحب الشهرة والظهور ورأت فى زيارة مس إجليفى لها ما يوصلها إلى هـذه الغاية لأنها كانت ذائعة الصيت بين جيرانها لثروتها وأعمـالها الخيرية

وصلت مس إجليفى وسط الأسبوع فدعتها مدام بوزيت الى تناول الشاي وبعـد ذلك زارت مس إجليفى المرصد فاعجبها كثيراً وزاد فى إعجابها حـديثها مع المستر بوزيت وما أظهره من العلم . والمعرفة وقد اعربت مس اجليفى عن اعجابها هذا لجودفرى وفي النهاية دعت السيدة وجوليت إلى تناول العشاء معها فى منزلها وتركت جودفرى قائلةانها تعلم انهسيكون مشتغلا مع المستر بوزيت برصد الكواكب فلبت السيدة وابنتها دعوتها وذهبتا فى الوقت المناسب ثم عادتا مبتهجتين اذ كانتا ضيفتين مع أشخاص من أشرف بيوتات لوسرن .والآن لاحاجة تدعونا الى القول بأن اسرة بوزيت شـجعت جودفرى على توثيق روابط الصداقة مع هذه السيدة الغنية الفاتنة .

ليس ثمة مايدعونا الى التطويل في شرح العوامل التى وطدت دعائم هذه المعرفة بل يكفي أن نقول ان المركبة المعهودة كانت تأتى الى جودفرى فى كل يوم أحد وتقله الى قصر اجليفى لتناول الغداء وكان يلتقى هنـاك دائمًا بمدام رينس والـكولونيل سمث والاستاذ بترسون وبشخص أو شخصين آخرين

لم تمض مدة وجيزة حتي علم جودفرى ان هؤلاء كلهم أعضاء فى جمعيه شبه سرية لم يقف على حقيقة أغراضها بالضبط . وكل ما هنالك انه علم أن أعضاءها يبحثون فى أمور لا تتعلق بهذا العالم فقد كانوا بعيدين عن كل شيء فى العالم مهما بلغت أهميته لا يهمهم الا مايمكن أن نسميه بالمسائل الروحية والتجسد وأشكال النجوم واستحضار الارواح والوحى وغير ذلك

قالت مدام رينس له مرة

ـ إننا أيها الأخ الشاب نبحث فى أمور لا تتعلق بالجسم بل بالروح لأن الجسم لاتنقضي عليه بضع سنين حتى يتحول الى تراب ورماد أما الروح فابدية لا تفنى وهذه الـكواكب السيارة التى تدرس أحوالها هى أرث لها وسأحكم أنا وأنت فيها

وكانت تدور بعينيها الـكبيرتين فيبدو شكلها جميلا بحيث ينسى جودفرى قباحة وجهها

تغيرت اعتقادات جودفرى فى الحياة والعالم بسبب تغيير داخلى فى نفسه على ما يظهر لا بسبب تعاليم معلمية السريين فأخذ يدرك

سعة الوجود التي لاحد لها . وفى الواقع كان تعليمه الروحي ملائماً لأبحاثه الطبيعة فى الأفلاك المملوءة بعوالم لاعداد لها يقطن فى كل عالم منها بلا ريب أناس احتجبت أمورهم عن الآخرين. وقد اضطرب جودفرى لضخامة « الكون » الذى أخذ يقف على أحواله تدريجياً . ومع أن هذه المعرفة قدهالته فانه فكر والأسف ملء فؤاده بالملايين العديدة من بنى البشر الذين لا يعبأون بهذه الاسرار الهائلة واشتغلت أفكارهم بشئون العالم من أكل وشرب ونوم وحب وغير ذلك من الأمور التي يرضون بها غريزتهم كغيرهم من الحيوانات الأخرى

تسرب حب الحكمة ورغبة المعرفة والاطلاع الى قلب جودفرى الصغير وعلكه كما تملك قلب سليمان من قبله بحيث كان لا يضن وهو في عنفوان شبابه بحياته الغالية ومعها نصيبه فى هذا العالم فقط لو وثق بأنه سينال بدلا من ذلك مفتاح كنز الأبدية

على أن مثل هذه الخطة ليست سليمة العواقب ولا طبيعية لشاب نشيط لم يخط غير خطوات قليلة فى سبيل الرجولية فلم تدم كما سيتبين ذلك فيما بعد . وكان لها كغيرها من المسائل الأخرى أسبابها . نعم كانت ابحاثه الفلكية سبباً في هذا التغيير ولكن يرجع السبب الأكبر الى تلك الجلسات التى كانت تعقد كل يوم أحد فى منزل مس إجليفي . وقد مكث جودفرى مدة طويلة يجهل ما كان يصيبه فى هذه الزيارات . فكان جماعة يلتفون حول المنضدة

الصغيرة يتحدثون عن أمور غريبة فى حين كانت مدام رينس تنظر اليه وتتناول يده أحيانا فلا يلبث أن يغيب عن الوجود ولا يتذكر شيئاً الى أن يستيقظ وهو منهوك القوى . ولم يدر بخلده مرة أن هؤلاء يستخدمون روحه لمعرفة ما يريدون من الاسرار

بيد أنه أخذ يقف على الحقيقة شيئاً فشيئاً . ففي ذات يوم تنبهت فيه قوة الشعور على ما يظهر وجسمه لا يزال فى سكونه فرأى شخصاً معهم لم يكن بين الحاضرين عند ما نام وكان الشخص فتاة فى مقتبل العمر تلبس رداء أبيض يتدلى شعرها الجميل على ظهرها وكانت واقفة بجانبه وقد أمسكت أصابعه بيدها

وكانت فتاه جميلة ولكنها لم تكن من سكان هذا العالم . وكانت تلبس حليا أيضاً ولدهشته رأى وهو يراها تلك الحلى وقد تغيرت من أحجار بيضاء كالماس الى أحجار حمراء كالياقوت وفى الوقت نفسه تغيرت عيناها أيضاً وكانتا ساكنتين هادئتين

وكانت الفتاة تتحدث مع مس إجليفي بصوت خافت رقيق فكانت تجيبها هذه وتناديها باسم « الاخت الينور » ولكن جودفرى لم يفهم معنى ما قالت . وقد بدت علامات اضطرابه الداخلية وخوفه على وجهه وهو نائم بلا ريب لانه سمع مدام رينس تصيح قائلة

ـ كفي ! إن الشاب استيقظ ومن الخطر ان يحدث ذلك والروح

« المرشدة » هنا . عودى الى صدره يا « الينور » ! ومن ثم الى مكانك !

تغير الشبح الطويل وتحول الى بخار لاشكل له ثم سقط فوق جودفرى كسحابة من دخان ثلجى أبرد جسمه . وقد استطاع جودفرى أن يرى من خلال هذا البخار الساعة المعلقة على الحائط وان يرى الوقت أيضاً اذ كانت الساعة ٤ والدقيقة ١٣ . وبعد ذلك لم يشعر بشئ

استيقظ جودفرى فى ألوقت المناسب كالعادة . وكان أول شئ نظر اليه ـ الساعة المعلقة على الحائط فوجدها تبين الساعة ٤ والدقيقة ٤٥ وعند رؤيتها تذكر كل شئ . وبعد ذلك لاحظ أن القلق يبدو على الجماعة وفي الواقع سمع مدام رينس تخاطب الاستاذ بترسن قائلة

ـ كاد الشئ يتم لولا دواؤك هذا... ان السبب فى ذلك أن الروح تناولت يده والظاهر أنها أحبته وهذا ما يجرى أحياناً اذا كان صاحب الروح من الجنس الآخر وكان جميل الوجه . أنها تريد أن أن تحظى به وأظن أنها لن تفارقه مدى الحياة لأنها كما ترى ستكون منه . سأعطيها فكرى اذا ما استحضرناها فى المرة المقبلة . اسكت إن أخانا الصغير قد استيقظ ... بحالة جيدة فى هذه المرة

وفي الواقع فتح جودفرى عينيه وكان يزعم الى تلك اللحظة انه نائم ولـكنه رأى من الحـكمة أن لايقول شيئاً

علت صفرة الموت وجه مس إجليني فى هـذه اللحظة وكاد

يغمي عليها لولا أن أخرج الاستاذ بترسون زجاجة صغيرة من مادة منعشة ووضعها على أنفها فأفاقت فى الحال وأخذت تضحك من نفسها ثم توسلت اليهم أن يتركوها وحدها ففعلوا . وقدم جودفرى بمغادرتها كذلك فاستوقفته قائلة ان المركبة لاتحضر الا بعد تناول الشاى

تناولا الشاى معا ولما فرغا سألته مس إجليفي هل رأى شيئاً أثناء نومه فأجابها بكل شيء قائلا

ـ إنني خائف . لا أريد هذا العمل يامس إجليفى . من هذه السيدة التى كانت ترتدى لباساً أبيض بجانبي وقد أمسكت بيدى ; أن أصابعى لاتزال تنمل ويخيل الى أن ريحاً باردة تهب على

فقالت مس اجليفي :

ـ انها روح ياجودفرى ولكن لاتخف فانها لاتؤذيك

ـ لا أدرى . ولا أظن انه يحق لك أن تجلبي الأرواح الىّ أو تستخرجيها مني كما سمعت تلك السيدة المروعة تقول ذلك

فقالت مس اجليفى بلهجة الاستعطاف

ـ لاتكن حانقاً على يا جودفرى . انك وسيط مدهش لاستخراج الأرواح لم ير أحد منا مثلك . وقد وقفنا بواسطتك على أسرار غريبة لم يسمع أحد بمثلها الى الآن في العالم . وقد ذاع صيتك بين زعماء الذين يعتقدون بمحادثة الأرواح فى العالم ولو انهم بالطبع لايعرفون من أنت

فقال جودفرى :

ـ هذا لايهمنى . انك تعلمين أن هذا ليس حق .

ـ قد يكون ذلك ولكن عليك يا ولدى أن تفكر فى أهمية هذا العمل لدى . اصغ الى.سأخبرك بكل شىءولا أخالك تخونني. اعلم ياجودفرى اننى أحببت شخصاً ماكان روحى وحياتي وكل شيء لي فى الوجود . وقد مات فتصدع لموته قلبي . أرجو الله ياجودفرى وأتوسل اليه أن لاتصيبك مثل هذه الكارثة مادمت حياً . وقد حاولت منذ ساعة موته الىالآن أن أجده فلم أستطع والآن قد وجدته بواسطتك . نعم وقد حدثني وأخبرنى بأمور كثيرة برهنت لى على انه لايزال حياً في مكان آخر وانه ينتظرنى والآن ترانى سعيدة أتمني أن ألتحق به اليوم قبل غد . . .لقد حدث كل ذلك بواسطتك فهل لك أن تصفح عنى ياجودفرى ؟

ـ بلا ريب . ولكن مهما يكن من الامرلاأريدأن تكون لى أية صلة مع تلك الفتاة التى تسمى « الينور » والتى غيرت حليها لاسيما لانها تحبنى وانها لن تفارقنى . والآن أتوسل اليك أن لاتطلبي إلي أن آتي الى هنا في أيام الاحاد

فحاولت مس اجليفي أن تهدئ روعه قائلة :

ـ ليس ثمة مايدعو الى خوفك منها . انها روح رقيقة وقد صرحت بانها تعرفك معرفة جيدة عند ما كنت أحدأفراد المصريين القدماء وقبل ذلك لما كنت في مجاهل الأرض.هذا عداصداقتكما

القديمة التى توطدت بينكما فى كواكب سيارة أخرى

فصاح جودفرى قائلا :

ـ هل تصدقين كل ذلك ؟

ـ اذا كنت تريد الوقوف على رأيى فانى لا أنكر عليك انني اعتقد صحتها وانى واثقة من اننا عشنا كلنا مرات عديدة هنا على الارض وفي أماكن أخرى . واذا كان الأمر كذلك فلا ريب في اننا قابلنا عدداً لايحصى من الناس ارتبطنا مع بعضهم بروابط مختلفة من الحياة . ولا مشاحة فى أن بعض هؤلاء التقوا معنا ثانية بخلاف الآخرين الذين قد نرتبط بهم في ظروف معينة. وهذا ماكان من أمرك وأمر « الينور » فانكما الآن فى عالمين مختلفين ولكن ستتقابلان معاً فى المستقبل بلا ريب كما كنتما وفي الوقت المعين تفرق بينكما يد القدر وربما التقيتما فى النهاية مرة أخرى . وفى خلال ذلك تكون هى احدى الملائكة الموكلين بحراستك

فقال جودفرى بجد

ـ أود أن لاتكون كذلك فانى لااهتم بملاك حارس لا أتذكره . واذا كان لابد لها أن ترتبط بى وتشترك معي فانى أفضل أن تكون بشراً حياً

ـ انها كانت على قيد الحياة بلا ريب وستكون كذلك مرة أخرى . أن لديها الآن ذكريات وتنبآت لاتوجد لدى المتجسدين

وفى استطاعتها أن تنبئنا بامور كثيرة وأنت الواسطة التى تربطنا بها ياجودفرى

ـ أرجو أن تجدى واسطة أخرى لان ذلك يؤلمنى ويسبب لى الامراض . اني واثق من انى لاأستطيع الذهاب الى فراشي الليلة وسوف لااحضر يوم الأحد حتي لاجلك يامس اجليني

ولما كانت المركبة عند الباب فى انتظاره قفز اليها فسارت به دون أن ينتظر سماع جواب مس اجليني

جاءت المركبة يوم الاحد التالى الى « البيت الأبيض » حسب العادة لتقل جودفرى ولكن الشاب بر بوعده فرجعت فارغة . وقد أرسل جودفرى مع الحوذى رسالة الى مس اجلينى قال فيها انه يعانى ألما شديداً في اضراسه حرمه النوم بضع ليال وانه لذلك لايستطيع القدوم

فارسلت مس اجليني اليه الرد بالبريد قائلة انها أسفت لعدم رؤيته وانها مريضة . ثم قالت انها سترسل اليه المركبة فى يوم الاحد المقبل راجية أن يكون قد شفي من آلامه

قامت حرب عوان فى نفس جودفرى فى خلال ذلك الاسبوع . وكان يريد أن يقطع صلته بتلك الروح « الينور » التى غيرت شكل حليها وقالت انها تعرفه منذ ألوف من السنين . وفى الواقع أحس جودفرى كانها قريبة جداً منه خصوصاً اثناء الليل فقد كان يخيل اليه انها تميل فوق فراشه وتعلن وجودها بحالات كان

يقشعر لها بدنه خوفاً وفرقاً. بيد انه كان في الوقت نفسه يحب مس اجليني فتأثر لمرضها وفوق ذلك كان يشعر بان هناك قوة مجهولة تجذبه الي هناك . وقد تكون هذه القوة من أعمال « الينور » أو من اعمال مدام رينس وعلى كل حال شعر برغبة شديدة فى الذهاب

وكانت تلك الابحاث بصرف النظر عن الاسباب الاخرى من الابواب التى تؤدى الى معرفة تلك الاسرار التى كان يرغب فى الوقوف عليها كل الرغبة فلم يجد من نفسه تلك القوة التى تمكنه من قفل هذا الباب فى وجه نفسه

كانت النتيجة ان ذهب جودفرى فى يوم الاحد التالى الي المنزل فوجد مس اجليني فى انتظاره وهى شاحبة الوجه فابتهجت بقدومه كما ابتهج به الاخرون وقد علم جودفرى السبب فى ذلك بعد هنيهة اذ علم انهم حاولوا تنويم المستر بترسن فى يوم الاحد الماضي عند ماحال وجع اسنانه دون قدومه فلم يفلحوا

أذعن جودفرى مكرهاً لارادة مدام رينس فقام كعادته وفي هذه المرة لم ير « الينور » ولم يدرك شيئاً مما جري الى أن استيقظ فشاهد منظراً مروعاً ذلك انه رأى مس اجليني وهي مضطجعة في مقعدها وقد حماها الدم ، وكان الاضطراب بادياً على وجه الجميع عدا مدام رينس فانها كانت جالسة بسكون ثم قالت :

ـ انه نزيف من الرئتين وهذا ما يصيب المصابين بالامراض الصدرية عادة . افعل أيها الاخ بترسن ماتريدوأما أنت أيهاالاخ سمث فاذهب الى طبيبها واذا لم يكن فى منزله فائت بطبيب آخر

علم جودفرى فيما بعد ماحدث . والظاهر أن الشبح أو الروح التى تسمى نفسها « الينور » ظهرت فى شكل مروع مخيف وشكت من انها لم تظهر فى يوم الأحد السابق وانها أبعدت عن أخيها — جودفرى — ثم أخذت تهدد جميع الحاضرين عدا جودفرى المذنب الحقيقى . وقد أظهرت غضبها بصفة خاصة نحو مس اجليفي قائلة

ـ ستموتين حالا . وسأجازيك على فعلتك هذه فى عالم الأرواح

وقد كررت قولها هذا ثلاثاً فاجابتها مس اجليفي بهدوء قائلة

ـ لاأخشى الموت ولا أخشاك يا « الينور » ولو انك لست الا روحاً شريرة كما ظهر لى الآن

وبينما كانت تتكلم نفث الدم من فمها بكمية غزيرة فتلاشت « الينور » وعلى أثر ذلك استيقظ جودفرى

أتى الطبيب فاعلن أن النزيف قد وقف وان المريضة بعيدة عن الخطر . أما عن المستقبل فانه لم يستطع أن يقول شيئاً غير انه كان ينتظر أن يصيبها مثل هذا النزيف . على انه كان يعلم حق العلم أن حياتها ليست طويلة .

عاد جودفرى الى المنزل وهو شـديد الاضطراب وقد لام نفسه على هذا الحادث ولو انه كان بريئا منه وكان حبه عظيما لمس اجليني فانتفض لفكرة موتها وهاله أن تغادر هذا العالم لتذهب الى عالم آخر مظلم واضطرب كذلك عند مافكر « باليىنور » هذه التي استخدمته لتظهر متجسمة فجثا على ركبتيه وتوسل الى الله أن يحميه من شرها وفى الواقع لم ير جودفرى « الينور » مرة أخرى

تلقى جودفرى بعد ثلاثة أيام خطاباً من الطبيب قال فيه أن مس اجليني تريد رؤيته وأوصاه بان يعجل فى القدوم . فاستأذن المستر بوزيت في الحال وذهب الى هناك ولما وصل الى القصر حيث كانوا يتوقعون قدومه دخل احدى غرف النوم حيث قابلته ممرضة قالت له انه لايطول انتظاره خارجاً . فسألها عن صحة مس اجليني فهزت كتفيها وقالت

ـ ستغادر العالم عما قريب

وبعد ذلك رافقته الى غرفة أخري فرأى جودفرى صديقته وهى نائمة فى فراشها شاحبة الوجه ولما وقع نظرها عليه تبسمت ابتسامة رقيقة وقالت

ـ انى أعد قدومك مكرمة عظيمة ياعزيزى جودفرى . لقد طلبت رؤيتك لثلاثة أسباب . فقد أردت أولا أن أسألك الصفح لانني جذبتك الى هذا العمل بدون علمك وقد أخبرتك السبب الذى حملنى على ذلك وعليه لااريد تكراره لانى أشعر بضعف

عظيم . ثانياً اريد أن تعدنى أن لاتذهب الى جلسة مناجاة الارواح اذ وثقت الآن انه خطر على من هم فى مقتبل الشباب . فهل تعدنى بذلك ؟

فقال جودفرى

ـ نعم أعدك بذلك فقط أخشى مدام رينس

ـ عليك أن تقف فى وجهها اذا أرادت معاكستك . ابحث عن المساعدة التى تريدها فى الدين واستشر المستر بوزيت فانه رجل صالح . ليس هناك خطر في العالم لايمكن الافلات منه فقط لو كانت لدى الانسان الشجاعة الكافية ولو انني واأسفاه فى حاجة الى هذه الشجاعة

ثم تنهدت وعادت الى الكلام بعد ان استجمعت قواها فقالت

ـ الان لدي ياعزيزى أمر ثالث أريد أن أطلعك عليه وهو انى تركت لك جانباً يسيراً من المال يبغ دخله ٢٦٠ جنيها سنويا . وقد كان في وسعى أن اعطيك أكثر من ذلك ولكني لم افعل لسببين الاول انى لاحظت أن الشبان الذين لهم دخل يتراوح بين خمسمائة وستمائة جنيه يقنعون به ويحاولون أن يعيشوا دون أن يفعلوا شيئاً لانفسهم فيكون ذلك نقمة عليهم لا نعمة . والثانى رأيت انني ان فعلت ذلك اضطررت الى سحب أموال من التى خصصتها لاعانة بعض الملاجئ والجمعيات الخيرية التى أريد مساعدتها . هذا كل ماأردت ان اقوله ... كلا هناك شيء آخر .

لقد تركت لك ايضاً الطلسم الذى اعطيته اياى ومعه هذا المنزل وما فيه من أثاث والاراضي التابعة له فقد تريد المقام هنا يوما ما وسيكون ذا فائدة لك فى أزمة قد تصيبك في حياتك وعلى كل حال سيذكرك بي

أخذ جودفرى يعطر عليها آيات الحمد والثناء فاوقفته باشارة من يدها قائله

ـ لاتضع الوقت سدى في مثل هذه الأشياء ياجودفرى اذ لابد أن تغادرنى الآن ولدى كلمة أخرى أريد أن أدلى بها اليك. اصغ الى . سيأتي يوم ترى فيه استحضار الارواح مجازفة خطرة مثل تسلق جبال الالب . على أن الانسان اذا ما وصل الى قممها الشاهقة استجلى إمامه منظرا بديعاً ورأى الناس وهم يبدون صغار الاجسام والسماوات وقد صارت قريبة . واذا كانت الخمر لا يمكن صبها فى كأس مغطاة كذلك الروح لاتستطيع أن تدخل قلباً مغلقاً . والآن ماهى فائدة الكأس بدون الخمر ؟ افتح قلبك ياجودفرى وتلق الروح بحيث اذا تلاشئ الفانى بقي الابدى ولا أخالك تجهل اننا إذا اخترنا الحياة عشنا ـ نحن ومن نحب

امسكت مس إجليفى عن الكلام هنيهة ولما استجمعت قواها عادت الى الكلام فقالت

ـ الآن قبلنى واذهب . ولكن لى معك كلمة أولا . لقد أحببتك حباً غريباً وربما كان السبب في ذلك اننا كنا مرتبطين معا فى

عالم آخر . اعلم إننى سأحاول ما استطعت أن أراقبك وأساعدك من تلك الارض التى على وشك ان أولد فيها وسأكون أول الذين بحيونك هناك . أنظر الى الشمس . انها آذنت بالغروب ... الان الى الملتقى حتى مطلع الفجر

مال جودفرى نحوها وقبلها وقبلته وقد طوقت عنقه بذراعها النحيلة . وبعد ذلك جاءت الممرضة فأخرجته وهو يبكي . ولما وصل الى الباب نظر اليها فرآها تبتسم له وقد كسي وجهها حلة بديعة من الجلال والسلام

وفى اليوم التالى فارقت مس إجليفي الحياة

حضر جودفرى بعد ثمان وأربعين ساعة حفلة تشييع الجنازة مع المستر بوزيت وبعد انتهاء الحفلة دعى الاثنان الى مسجل العقود حيث قرئت وصيتها. وكانت مس إجليفي من الاغنياء اذ خلفت تركة تقدر بمئة الف جنيه كان معظمها في انكلترا . وقد تضمنت الوصية إعطاء المنزل بمشتملاته لجودفرى وعين الاسقف بوزيت وصياً على التركة الى أن يبلغ جودفرى الخامسة والعشرين من عمره مع هبة قدرها ٢٠٠ جنيه واعطائه مئة جنيه سنوياً مقابل اتعابه . وقد أوصت مس إجليفي فوق ذلك بمبلغ آخر لا تفاقه على خدمة المنزل واذا بيع يوزع هذا المبلغ بالتناسب على ورثتها الآخرين . ويقدر مجموع هذه المبالغ بأربعة آلاف جنيه بعد دفع النفقات والمصاريف الأخرى . أما ثمن المنزل ومشتملاته فكان يقدر بمبلغ جسيم لا

يعرف قدره بالضبط في حين يقدر ماورثه جودفرى في انكلترا باثنى عشر ألف جنيه أوصت مورثته بان تحفظ له فوائده حتى يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وبعد ذلك يعطى له رأس المال وحده

وكان الحزن قد تملك قلب جودفرى فكان يصغى الى جميع هذه التفاصيل بدهشة واستغراب وفي الواقع لم يشعر بأقل فرح عند ما صافحه مسجل العقود وهنأه باحترام فقد أنسل من أمامه وخرج بعد أن دمدم ببعض كلمات الشكر

ابتهج الاسقف بوزيت بما ناله وعده ثروة وشرفاً لأحدله فقال جودفرى عند مغادرتهما مكتب مسجل العقود

ـ إن الساعة التى دخلت فيها منزلى الوضيع كانت ساعة سعيدة لى ولك ياجودفرى . لم أعد الآن معلمك فقط بل ووصياً على أملاكك فى لوسرن أيضا فثق بأني سأهتم بأمرها كل الاهتمام وسأحدث غدا هؤلاء الخدم وأطرد نصفهم على الأقل لأنهم كثيرون

الفصل السابع

« المستر نيت والواجب »

عاد جودفری والاسقف الى كليندورف فى المساء وكانت دهشة مدام بوزيت وابنتها جوليت عظيمة عند سماع الأنباء التي حملاها اليهما وبهتتا عند ما سمعتا أن الثروة التى ورثهاجودفرى تقدر بثلاثمائة الف فرنك اذ لم يكن هناك أحد فى جوار كليندورف تبلغ ثروته هذا الحد ناهيك بالقصر البديع وأثاثه الفاخر وما حوله من الحدائق الغناء التى كانت حديث أهل لوسرن . ثم ما ناله الاسقف وهو ٠٠٠ ر٥٠ فرنك تدفع اليه حالا عدا دخل قدره ٢٥٠٠ فرنك مدة ثمان سنوات . وهى ثروة عظيمة نالها الاسقف بعد مدة لا تتجاوز بضعة شهور من معرفته لجودفري

طرأت فكرة صائبة على عقل السيدة فقالت لماذا لا يتزوج الشاب بجوليت ؟ انها فتاة نشيطة تصلح لتكون سيدة عظيمة قد تليق بقصر إجليفى فى السنين المقبلة . ولذا عولت على أن تخاطب ابنتها فى هذا الأمر وان تنير لها الطريق لتعرف موضع مستقبلها

وفي الواقع كان ذلك من الامور التى يحتمل وقوعها كثيراً لولا وجود ذكرى متأصلة فى عقل الشاب ـ على رغم استخفافه

الظاهرى ـ لفتاة بعيدة فى انكلترا حالت دون وقوعه فى شرك غرام غيرها وهو ما كان مؤكداً لشاب مثله وجد في هذا الوسط

علت مكانة جودفرى منذ ذاك الحين وصار موضع الاحترام فى منزل الاسقف بوزيت . فنقلت السيدة غرفة نومه الى غرفة أخرى جميلة طلقة الهواء بحجة أن الغرفة التى كان فيها باردة فى الشتاء . وكانت جوليت أثناء غيابه تهتم بتربيتها وتنسيقها وتزيينها بالورد والازهار

كتب جودفرى فى ليلة قراءة الوصية خطابا الى أبيه ليبلغه الخبر وهي مهمة كان دائماً يرى فيها مشقة كبرى . ولما لم يشأ أن يذكر له تفاصيل ماجرى اقتصر على ذكر خلاصة بسيطة ولكنها استغرقت زمناً طويلا وأخيراً تضمنت ما يلى

« والدى العزيز ـ أظن أنى أبلغتك إننى سافرت الى سويسرا برفقة سيدة تسمى مس إجليني وأنى تعودت زيارتها منذ قدومى وقد ماتت هذه السيدة وتركت لى كما علمت نحو إثني عشر ألف جنيه أحصل عليها إذا ما بلغت الخامسة والعشرين من عمرى . وسأستولى فى خلال ذلك على الدخل ولذا يسرنى أن أقول إننى صرت لا أكلفك شيئاً منذ الآن . وقد تركت لى فوق ذلك قصراً كبيراً فى لوسرن مع حديقة جميلة وأثاثا فاخراً وجانباً من المال لانفاقه علي هذا القصر. ولما كنت لا أستطيع المقام فيه أرى انه خير لى أن أؤجره

« أرجو أن تكون بخير . بلغ تحياتي الى مسز برسون وأخبرها بذلك. يزداد البرد هنا وقد غشيت قمم الجبال بالثلوج ... خطوت خطوة واسعة في تعلم اللغة الفرنسية وأتكلم بهامع الآنسة جوليت التي لاتعرف الانكليزية ولو أنها تزعم غير ذلك . إنها فتاة جميلة تغنى غناء بديعاً وكذا السيدة فانها جميلة... أقوم باعمالي الأخرى مع الاسقف بوزيت وسيكتب اليك هو أيضاً وسأرفق خطابه بخطابي

إبنك المخلص

جودفرى

أحدثت هذه الرسالة دهشة فى نفس المسترنيت كانت مشوبة بشيء من التألم فقال : لماذا لم يكن الصبي أكثر صراحة ؟ من هي مس اجليفى التى لم اسمع باسمها غير الآن وكيف تركت لجودفرى مثل هذه الثروة ؟

كانت دهشة المستر نيت عظيمة بحيث لم يدر هل ما تضمنه خطاب جودفرى أضحوكة أو قصة خرافية . واذالم تكن كذلك فان هناك أموراً خطيرة أخرى لاتزال فى طى الكتمان . وفوق ذلك لم يجد المستر نيت الخطاب الذى قال جودفرى أن الاسقف بوزيت سيرسله اليه داخل خطابه اذ لوتلقى هذا الخطاب لاستطاع بلا ريب أن يستدل منه على معرفة أمور أخرى . وغير هذا وذاك لم يسمع شيئاً من محام أو وكيل عن هذه المسألة

ذهب المستر نيت وهو فى دهشته تواً إلي منزل السر جون

بلاك ومعه الخطاب على أمل أن يقترض بعض الكتب ليعرف من هى مس اجليفى فسأل عن السرجون فأبلغه الخادم انه فى غرفة الاستقبال فذهب إلى هناك فلم يجده ولكنه وجد اليصابات فابلغته ان أباها غادر الغرفة منذ هنيهة . وكانت مقابلتها خالية من معانى الود لان اليصابات كما يتذكر القارىء كانت تبغض المستر نيت كما كان يبغضها. على انه وجد نفسه معها وجهاً لوجه فلم يجد مندوحة من شرح الغاية التى جاء لاجلها فقال

ـ تلقيت خطاباً غريباً من جودفرى حملنى على أن اقترض كتاباً . هاهو الخطاب اقرئيه اذا شئت فان ذلك يكفينى مشقة الشرح .

فقالت اليصابات بجفاء

ـ لااريد قراءة خطابات جودفرى

فقدم المستر نيت اليها الخطاب وعاد فقال

ـ اقرئيه لتوفرى علىّ الوقت

فتناولته اليصابات وقد تغلبت عليها رغبة شديدة لمعرفة ما فيه ثم قرأته فلم تكترث بما ورد فيه عن الاموال بل حصرت اهتمامها أولا على مس اجليفى والاسباب الغامضة التى دعت الى كتابة وصيتها . ثانياً على الآنسة جوليت التى قال فى خطابه انها جميلة ذات صوت رخيم . نعم ان مس اجليفى مهما كانت أحوالها

قد ماتت ولكن جوليت لاتزال على قيد الحياة بوجهها الجميل وصوتها العذب وعليه لاعجب اذا لم تسمع منه شيئاً لانه كان مشغولا بمس اجليني ثم بالانسة جوليت التي يقطن في منزل أبيها كاحد أفراد العائلة

لم يبد على وجه اليصابات شيء ينم على ماكان يجول بخاطرها فقد قرأت الخطاب بثبات وباعتناء تام بحيث كان في وسعها بعد فراغها منه أن تتلوه عن ظهر قلب

ناولت اليصابات الخطاب الى المستر نيت بدون اهتمام وقالت

ـ أن جودفري سعيد الحظ

فقال المستر نيت

ـ نعم . ولكن ما السبب ؟ لا أجد معنى لهذه الوصية اذا كانت هناك وصية

فنظرت اليه اليصابات وقالت

ـ لاريب في أن هناك وصية يامستر نيت . ان جودفري صادق جداً وأمين

فارخى المستر نيت عينيه أمام نظراتها واحمر وجهه خجلا عند سماع كلماتها . وقد حارت اليصابات في معرفة هذا السر إلى أن عرفته بعد مدة طويلة

قال المستر نيت

ـ هل لك في أن تقرضيني كتاباً أو بعض الكتب على أمل

أن استدل منها على معرفة مس اجليفى . انى لم أسمع عنها شيئاً من قبل ولو أن جودفرى ذكر في احدى رسائله أن سيدة اظهرت له عطفاً اثناء سفره

فقالت اليصابات

ـ لدينا عدد كبير من الكتب فهيا نبحث عن اسمها بين الاشراف والعظماء

أخـذا يبحثان . فعثرا على أسماء كثيرة من عائلة اجليفى ولكنهما لم يستدلا منها على شئ . ولا عجب فان والدى مس اجليفي ماتا فى استراليا وهى فتاة صغيرة فربتها عمة أخرى كانت في انكلترا وقد ماتت أيضاً منذ مدة طويلة

عاد إلمستر نيت مبهوتاً حائراً . بيد أنه تلقى فى صباح اليوم التالى خطاباً عنوانه : « جودفرى نيت المحترم » ففض غلافه في الحال فوجد به رسالة من مكتب محام كبـير تتضمن صورة من وصية مس اجليفي التي سجلت أمام القنصل البريطانى فى لوسرن وقد ورد فى هـذه الرسالة أسماء الاوصـياء فى انكلترا وطلب معلومات عن الاماكن التى تدفع فيها فوائد المبلغ الموصى به وغير ذلك . فرد المستر نيت فى الحال وطلب أن تدفع له الفوائد بصفته والد الوارث فعارض المحامي فى طلبه هذا وطلب ضمانات وثيقـة تضمن أن تنفق هـذه المبالغ لفائدة الوارث دون غيره . فغضب المستر نيت وأخيراً تم الاتفاق على أن لا يسحب شئ من الاموال

الا بامضاء أحد الاوصياء والمستر نيت بعد موافقة جودفري كتابة .

***

عادت اليصابات من لندن بعد حفلة الرقص التى كان يرتدى المدعوون اليها ملابس تمثل الازياء القديمة في الليلة التى خيل اليها أنها رأت شبحاً وهي جالسة فى الحديقة مع ذاك الشاب الذى كان يرتدى بذلة فارس وانتظرت مدة طويلة على أمل أن يصلها خطاب من جودفري . ولما لم يصلها شيء وعلمت من مسز برسن أنه أرسل بضعة خطابات أخذت تبحث عن السبب فى سكوته وأخيراً طرأت على عقلها فكرة فقالت : ربما كان الشبح الذى رأته ليس خيالا تمثل لها بل هو جودفرى نفسه وقد اهتدى بطريقة ما الي ذاك الميدان على أمل أن يراها فى حفلة الرقص ليودعها . نعم ان هذا مستطاع لا سيما بعد أن علمت مما قاله المستر نيت أن جودفري لم يغادر لندن الا فى صباح اليوم التالى

والآن اذا كان الامر كذلك ورآها جودفرى تلعب دور الحمقاء ـ كما سمت عملها هذا ـ مع ذاك الشاب الجميل فى الحديقة فماذا تكون فكرته من نحوها ؟ لم تقل بأن ليس له حق .ولا عجب فانها كانت تعترف فى قلبها منذ نعومة أظفارها بان له كل حق ولو أنها عند ما كانت تقول ذلك فى نفسها لا تدرك كل ما تضمنه هذا الاعتراف . واذا كانت قد عاملته أحياناً بشيء من التصلف

والخشونة فانها كانت تعترف فى نفسها دائماً بانه سيدها ووليها وانه الشخص الوحيد الذى يهمها فى العالم . وفي الوقع لو استثنينا أمها فانها كانت لا تكترث بأحد فى العالم رجلا كان أو امرأة ولم تحاول ذلك مطلقاً

كان حب اليصابات لجودفرى فريداً لا يتجزأ . فكان جودفرى كل شئ لديها فى الوجود وهو مركز يعبط عليه . على أننا اذا راعينا طبيعتها لا ننكرها على شئ لانها اتبعت غريزتها أو أذعنت لما أملاه ذاك المصير الذى يسيطر ويهيمن على كل حب عظيم سواء كان بين والد ومولود أو أخ وأخ أو صديق وصديق . ومثل هذه العواطف لا تكبر أو تنمو دائماً بل هى أزهار شجرة غرست جذورها السرية فى أعماق أرض الظروف والاحوال وامتدت أغصانها فى عوالم لا اعداد لها

هكذا كان الحال مع اليصابات منذ وضعت تلك القبلة على جبين الطفل النائم فى غرفة الطعام في الدير العتيق . انها له . ومهما تساورتها الظنون وحامت حول فكرها الريب فان شعورها الداخلى وغريزتها كانا ينبآنها دائما بأنه لها وأنه كان دائما لها وأنه سيظل دائما كذلك

كبرت اليصابات وترعرعت فتوطدت هذه الحقائق فى نفسها بقوة عظيمة لانها عرفت أن بلوغ سن الرشد يضاعف الفرص لبلوغ الرابطة التى تنشدها . وكانت تعرف فوق ذلك أن هذا

التجاذب لايتوقف على الجنس ـ ولو أن تأثير الجنس مما يقوى هذا التجاذب ـ وانه شيء أكثر عمقاً واتساعاً . شيء قد لاتدرك كنهه ولن تدركه . اذ العنصر الجنسى عارض يزول بمرور السنين التى تتركه كأنه لم يكن بعد أن تفقده قوة الجاذبية . أما الترابط الزوجى فلا تؤثر فيه الايام بل بالعكس تزيده قوة ومتانة

علمت اليصابات هذه الحقيقة وأيقنت أن حبهما حب أبدى ولو أنهما لم يتبادلا كلمة واحدة . هذا ما أدركته بغريزتها النسائية وهو ما كان يجهله جودفرى الى الآن

تسلطت هذه الفكرة على عقلها وهي أنها رأت جودفرى وأن جودفرى رآها فى الحديقة فى وقت كان يجدر بها أن تعتكف فيه فى دارها فأنبها ضميرها وعولت على أن تكتب اليه خطاباً وفعلا كتبت اليه بعد مشقة عظيمة الخطاب التالي :

«عزيزي جودفرى

«تولدت لدىّ فكرة وهي أنك كنت فى الميدان فى ليلة حفلة الرقص عند ما خرجت من الحفلة وكنت أرتدي ذاك الثوب الابيض الذى تعرفه . فاذا كنت قد ذهبت الي هنالك فى تلك الليلة بدلا من أن تنشد الراحة قبل سفرك الطويل كما كان يجب عليك أن تفعل ورأيتنى مع رجل يرتدى درعا ومعه وردة وغير ذلك فانك تعلم بالطبع أن هذا كله جزء من برنامج الحفلة . فقد كان علينا كما تعلم أن نتظاهر بأننا فرسان وسيدات يولى كل منا الى

الاخر حبه وغير ذلك من السفاسف والاعمال التى تنطوى على الحماقة (ولم نكن ندرى كيف يولى كل منا حبه للآخر فاستخدمنا الوردة) والحقيقة أن الشاب ودرعه ولا سيما مهمازه الذى مزق ثوبى وكل شئ فيه قد ضايقنى كثيراً الا ننى كنت أفكر بأمر واحد وهو سفرك الطويل وكيف تستطيع معاشرة أولئك الفرنسويين وغير ذلك . والآن اذا لم تكن هناك ولم تدر معنى قولى هذا فلا تكترث بالامر . وعلى كل حال ليس لك الحق فى أن تغضب . ولعمرى يحق لى أن أغضب لتلكئك هنا وهناك فى شوارع لندن فى ساعة متأخرة من الليل بدلا من أن تظهر لأقدمك الى الفارس ... هذا ما أردت أن أقوله الآن بشأن هذه المسألة وعليه لا تكتب الىّ تستفهم عن شئ بصددها

«ليس لدىّ ما أنبئك به غير أننى لم أذهب الى الكنيسة منذ يوم سفرك ولا أنوى الذهاب الى هناك وهذا ما حدا بأبيك الى كراهتى فانه ينظر الىّ بعين المقت كما لو كنت قد سقيته كأساً من السم . انه يبغضنى كما تعلم وانى أحبه لاظهار هذه الكراهية لانها تكفيني مشقة الذهاب دائما الى الكنيسة . أخبرنى اذا ما كتبت الىّ كيف ان هذا أبوك

«يسوءنى أن أقول أن صحة والدتي سيئة . وقد أخذ البرد يشتد في اسكس فأشار الاطباء عليها بالسفر الى مصر ولكن أبى

يرفض ذلك . وفى الختام تقبل تحيات حبيبتك

اليصابات

ملحوظة ـ اذا كتبت الىّ فلا تخبرنى شيئاً عن سويسرا وجبالها المغطاة بالثلوج وبحيراتها العميقة وغير ذلك من الاوصاف التى شحنت بها الكتب بل اخبرنى عن أمورك وماذا نفعل وبمن تفكر ... خصوصاً بمن تفكر

ملحوظة أخرى — ان الرجل الذى كان يرتدى الدرع ليس جميلا لان فى عينيه حول وهو لا يستطيع هجاء الكلمات فقد حاول أن يكتب قطعة من الشعر فأخطأ في كتابتها»

لما فرغت اليصابات من كتابة هذه الرسالة الشاقة تذكرت أنها نسيت أن تطلب الى جودفرى أن يترك عنوانه على انها قالت ان مسز برسن لابد أن تعرف عنوانه فذهبت بالخطاب الى الدير على أمل أن تكتبه هناك . ولكن مسز برسن لم تكن فى المنزل فتركته مع الخادمة بعد أن وعدتها وعداً صادقاً بان تسلمه الى مسز برسن عند عودتها لتكتب عليه العنوان . ولكي لاتنساه الخادمة وضعته عل منضدة بجانب الباب الخلفي للدير . ولسوء الحظ دخل المستر نيت من هذا الباب بعد هنيهة فوقع نظره على الخطاب وقد عنون باسم جودفرى نيت . ولم يلبث أن عرف خطر اليصابات ولو أنه تجاهل فى نفسه هذا الأمر فأخذه وسار الى غرفة المطالعة وهناك أخذ يتأمل فيه وأخيراً قال فى نفسه

ـ ان تلك الفتاة الخبيثة تراسل جودفرى وهو ما أريد أن أحول دون وقوعه

ثم تملكته الرغبة فى معرفة مافيه وقام النزاع فى نفسه لمعرفة « واجبه » وأخيراً رأى أن جودفرى لايزال صغير السن وانه عرضة للتأثيرات السيئة فقرر أن يقف على مافى الخطاب قبل ارساله وعملا بهذه الرغبة فتح الخطاب وقرأه بحيث لم يكد يفرغ منه حتى ثار غضبه لكل كلمة وردت فيه . وأخيراً قال بصوت عال

ـ أظن اننى لست مكلفاً أن أدفع بنسين ونصف بنس (لان اليصابات نسيت أن تضع طابع البريد) لأرسل هذه الكأس السامة الى ولدى الذى يجب على أن أحميه من كل شئ . يالك من فتاة شريرة ! ولكن سوف لا تتلقى جواباً على رسالتها هذه الخبيثة

ثم وضع الخطاب فى أحد الادراج وقفل عليه

لم تتلق اليصابات بالطبع رداً على خطابها فتألمت ألماً شديداً وقالت انها كتبت الى جودفرى وانها أذلت نفسها أمامه ونسيت أن تبحث عما أصاب الخطاب وكل ما هنالك انها سألت الخادمة مرة عما اذا كانت سلمت الخطاب الى مسز برسن فأجابتها الفتاة بالايجاب وقد زعمت على ما يظهر ان القاء الخطاب على المنضدة يعد بمثابة تسليمه

وكانت اليصابات كغيرها ممن هم في مقتبل العمر تظن أنها متى كتبت شيئاً حمله رسول سحرى الى المرسل اليه فصدقت قول

الفتاةوأيقنت أن الخطاب قد أرسل وأنه وصل فى ميعاده ولكن جودفرى أبى أن يرسل اليها الرد . على أنهاقالت قد يكون السبب في سكوته انه لايزال غضبان من حادثة الحديقة . ولكن من أين لها أن تعرف ان هذهو السبب ؟ وأخيراً قالت انه ربما كان مشتغلا عنها بأمور أخرى فلم يشأ أن يكلف نفسه مشقة الكتابة اليها

عولت اليصابات فى النهاية على أن تسأل مسز برسن عن الخطاب وهل أرسلته اليه ولكن اتفق أن تلك المرأة خاضت قبل أن تسألها اليصابات عن الأمر فى حديث طويل عن جودفرى قائلة أن الشاب يعيش الآن فى سويسرا عيشة هنيئة وسط فتيات جميلات وبين مناظر الطبيعة الجميلة وغير ذلك من الاقوال التى أعدتها اليصابات تلميحاً فعدلت عن سؤالها عن الخطاب ولما جاءها المستر نيت بعد ذلك بشهور يحمل خطاب جودفرى عن الارث علمت اليصابات كل ما هنالك ورأته رأى العين

وهكذا حدث أن اليصابات وجودفرى قضيا زمنا بعيدان على رغم حبهما العظيم وشغف كل منهما بالآخر فان اليصابات لم تكتب اليه خطابات أخرى فى حين فضل جودفرى الموت على أن أن يبدأ بمراسلتها بعد الذي رآه فى الحديقة فى لندن. وقد حاول جودفرى فى رسائله القصيرة التى كان يرسلها الى أبيه ان يقف بطريقة غير مباشرة على شئ من أحوال اليصابات ولكن أباه لغاية

فى نفسه كان يتجاهل استفهاماته. وقصارى القول بقي كل منهما يجهل أمور الآخر طول هذه المدة

شغلت أفكار اليصابات فى خلال ذلك أموراً أخرى فقد ساءت حالة أمها الصحية بسبب مرض أصابها فى الرئتين كما ذكرت ذلك فى خطابها الذى رأى المستر نيت من واجبه ان يسرقه . وقد قال الاطباء بضرورة سفرها الى مصر أو الى اى مكان آخر دافئ كبلاد الجزائر لتمضية فصل الشتاء على ان السرجون لم يحتمل سماع مثل هذا القول ولا عجب فقد كان يعتقد ان زوجته مصابة بمرض وهمى فلم تنفع فيه وصية الاطباء وكان في الواقع لا يود مغادرة انكلترا ولا ان ترافق اليصابات امها الى بلاد اخرى وكان يقول فى نفسه اذا ماتت اللادى جونيا فان ذلك لا يضيره فقد لعبت دورها فى الحياة ولم تعد ذات منفعة

وقع جدال شديد ذات يوم بين اليصابات وأبيها فقالت الفتاة

ـ يجب أن تسافر أمي إلى الخارج

فقال أبوها

ـ من أنبأك بهذا ؟

ـ الاطباء . فقد انتظرتهم وسألتهم

ـ ليس لك أن تفعلى ذلك . انك فضولية وقحة

ـ أيعد الانسان وقحاً فضولياً اذا قلق من نحو صحة أمه ؟

ثم حدقت في وجهه فثار غضبه وأخذ يرميها بالفاظ كان يجب أن يخجل لذكرها

انتظرت اليصابات حتى فرغ من كلامـه وقد احمر وجهه ثم قالت

ـ لولا أمي التي تسيء معاملتها على رغم طيب أخلاقها وعطفها الدائم نحوك لتركت عشرتك يا والدي وعلت تفسي بنفسي أو ذهبت مع خالي ادجار الي بلاد المكسيك حيث عين معتمداً فقد طلب الي هو وخالي مرغريت أن ارافقهما . أما الآن فلا بد لي من البقـاء هنا لاهتم بأمر أمي . والآن لماذا ترفض سفرها ؟ لاحاجة إلى قدومك فان فى اسـتطاعتى أن أقوم برعايتها . واذا كنت تظن أن مصر أو بلاد الجزائر بعيدة فان الاطباء يقولون أن حو سويسرا قد ينفعها وهي قريبة منا

فقال السر جون ساخراً منها

ـ اننى لاأجهل السبب الذي حملك على أن تقترحين السفر إلى سويسرا أيتها الانسـة فانك تريدين الفرار وراء ابن الاسقف . ولـكن لايكون ذلك . أما السبب الذى حملنى على أن أرفض سفرها الى الخارج فهو انى لاأعتقد بصحة أقوال أولئك الاطباء الذين يشيرون مرة بذهابها الى مصر وهى بلاد حارة ويشيرون اخرى بذهابها إلى سويسرا وهى بلاد باردة . وفوق ذلك أريد بقاءك فى انكلترا وأن لاتذهبي لتختلطى باناس غرباء . لقـد كبرت وترعرعت فوضعت خطتي لاجل مستقبلك ولا أستطيع

تنفيذها اذا كنت بعيدة . سنبقى هنا إلى عيد الميلاد ثم نسافر بعدها الى لندن وكنى

احمر وجه اليصابات خجلا وعضت شفتها حتى أدمتها عند سماع هذه الاهانات لاسيما الكلمة الجارحة التى سمعتها عن جودفرى وعلى ذلك لم يسعها غير الذهاب فتركته وقدتسرب الى قلبه شئ من الخوف على أنه أصر على رأيه اذ رأى انه ان فعل غير ذلك أفسد على نفسه مشروعاته. وقدأراد من جهة أخرى أن لايظهر بمظهر الضعف امام اليصابات وعد ذلك تجربةلقوتيهما ونسى مايفرضه عليهالواجب من نحو زوجته والاهتمام بامرها

وهكذا مكثوا فى اسكس حيث سارت الامور كما تنبأ الاطباء . فقد ساءت حالة اللادي جونيا الصحية بسرعة بحيث لم يعد هناك أمل بشفائها حتى لوسمح لها بالسفر الي الخارج

اضطرب السر جون فى آخر لحظة وتساوره الهم والقلق . ثم تلقى خطابا شديد اللهجة من اللورد لينفيلد الذى وقف على ما جرى من اليصابات فرضى أن يرسل زوجته الى مصر . على انه لما دعى الاطباء واستشيروا فى الامر قالوا له بلهجة تنطوى على الغلظةانهلواتبعت مشورتهم من البداية لعاشتبضع سنين اخرى أما الآن فانهيستحيل عليها أن تتحملمشقة السفر التىقد تقضى على حياتها لاسيما اذا أصيبت بدوار البحر

جلست اليصابات بجانب فراشأمهاوأخذتتراقبها في ساعاتها

الاخيرة ثم بدأت تفكر قائلة تري هـل هناك إله رؤوف يسمح بمثل ذلك ؟

مسكينة أيتها الفتاة ! فقد كان هذا أول تجربة لها من نوعها . وكانت تجهل الى الآن مايقع في هذا العالم طوعاً لقوانين لا تتبدل لايعلم من وضعها ولا الغرض من سنها

ولما كانت الفتاة جاهلة لاتزال حديثة السن لاتدرى شيئاً من امور الحياة فانه لاينتظر أن تدرك تلك الآراء البعيدة أو تعرف يد الرحمة التي تحمل كأس الآلام البشرية . فقدرأت اليصابات أمها وهى تسير فى سبيل الفناء بسبب عناد أبيها واستئثاره بنفسه ولم تدرك أن هذا الامر الذى لا ضرورة له يسمح به الله المحب ولذا لم تفكر به لان الامر كان أبعد من أن يدركه عقلها الصغير

أما اللادى جونيا فقد استسلمت لارادة الله ولم تشك من معاملة زوجها بل بالعكس التمست له المعاذير . ولا عجب فانها لم تكن تطمع في الحياة الا لاجل ابنتها اليصابات . وكان إيمانها البسيط يزيل مخاوفها من الموت ويبعث في نفسها الامل بغفران خطاياها والتمتع بالسعادة الابدية

قالت اللادى جونيا لابنتها

ـ لا أحاول مجادلتك لانني لم أبلغ من الحكمة حداً يمكننى من إدراك مثل هذه الامور . ولكنى أريد ياعزيزتى أن لا تعتقدى بالامور التى لا نستطيع إدراكها

فقالت اليصابات

ـ لا أستطيع ذلك يا أماه

فنظرت اللادى جونيا اليها وتبسمت ثم قالت

ـ نعم ياعزيزتي . اذا كنت لا تستطيعين ذلك الآن فسيأتى يوم تتغير فيه أفكارك . أقول ذلك لان هناك شيئاً يوحى الىّ بهذا الامر الذي يبتهج له قلبى . تعلمين أننا سوف نجتاز عقبات مظلمة وأهوالا فى هذه الحياة هـذا اذا كان لدينا الشعور الذى يمكننا من إدراك ذلك لان هناك أناساً لا شعور لهم . ومع ذلك سيكون فى النهاية ابتهاج وحب وسلام لي ولك يا اليصابات نعم ولنا جميعاً نحن الذين تعلمنا الثقة وندمنا على ما فرط منا

فتنهدت اليصابات قليلا ثم قالت

ـ اذا كنت تعتقـدين ذلك فاني أرجو أن يكون اعتقادك صحيحاً ، وفى الواقع أظن أن قولك هذا لا بد أن يكون صحيحاً يا أماه

لم تتناقش اللادى جونيا وابنتها بعد ذلك فى هذا الموضوع. ولـكن اذا كانت اليصابات لم تظهر تغيـيراً ظاهراً في خطتها منـذ ذاك الوقت الى النهاية فان أمها أظهرت ارتياحاً من نحوها ونحو آرائها

وكانت آخر مافاهت به قولها

ـ سيسير كل شئ في مجراه الحسن . سنتقابل معا مرةأخرى انني واثقة . انني واثقة

***

ماتت اللادى جونيا فجأة يوم ٢٧ ديسمبر وهو اليوم الذى كان السر جون عوّل على الانتقال فيه الى لندن

انتهت حفلة الجنازة وسافر الاهل والاصدقاء الدين شيعوها ولم يبق غير اليصابات وأبيها . وكانت الفتاة جالسة أمامه بقوامها الجميل وهي شاحبة الوجه ترتدى ثوبا أسود فى حين جلس السر جون وقد اختلف شكله اختلافا تاما عن شكل ابنته

ساد السكون بينهما لحظة وأخيراً فتح السر جون باب الحديث فقال

ـ لقد ماتت أمك المسكينة يا اليصابات

فانتهزت الفتاة هذه الفرصة وثار غضبها فقالت

ـ نعم وأنت الذى قتلتها

فثار غضبه هو أيضا وقال

ـ ويحك . ماذا تعنى يا قليلة الحياء ؟ لماذا تقولين أنى قتلتها ألأنني فعلت ما رأيته صالحا للجميع ؟ إنني خير زوج على الارض وستعترف هى بذلك اليوم في السماء

فقالت اليصابات وهى تكاد تميز من الغيظ

ـ لا أعرف آراء أمي عن السماء ولكنى أعرف آرائى الخاصة بالعالم هنا

فصاح أبوها وقد ألقى قبعته على المنضدة التى أمامه ثم قال

ـ وإنى أعرف آرائي أيضا . فاعلمي أنه كلما زاد بعدنا حسنت أحوالنا .

ـ انى أوافقك على هذا الرأى يا أبتى

ـ إصغى الىّ يا اليصابات . قلت أن خالك ادجار عين معتمداً فى بلاد المكسيك وانه عرض عليك أن ترافقى ابنته اميلى . فاذهبى اذا شئت . وسأترك هذا المنزل وأذهب الى «هرويك» أو لندن . اكتبي اليه وتأهبى للسفر لتقضى معه عاما واحداً فقد تتحسن أخلاقك بعد هذه المدة

ـ شكراً لك يا أبتى . سأفعل

نظر اليها شذراً فقابلت نظراته بمثلها فأرخي عينيه فى الحال ثم قام مسرعا وغادر الغرفة . وكان كلبها الصغير فى طريقه فرفسه برجله بشدة لجاءها وهو يعرج وكانت مغرمة به فحملته وقبلته ثم أخذت تبكى شفقة وغضبا

أخذ الكلب يلحس رجله المصابة فقالت في نفسها

ـ لا أدرى مادا يقول جودفرى عن الوصية الخامسة (وهي الوصية التي وردت في التوراة عن اكرام الوالدين) لو كان هنا

اليوم . ليس هناك اله اذ لو كان هناك لما أعطانى لوالد كهذا ولما أعطي والدتى مثل هذا الزوج

خرجت اليصابات فى النهاية وهي تحمل كلبها الصغير ثم انسلت الى قبر أمها في حوش الكنيسة المجاورة فوجدت الخدم قد أتموا عملهم ورتبوا بطاقات الازهار على القبر . وكان بينها إكليل كبير من الزهر ربطت به بطاقة كتب عليها ما يلى : « الى زوجتى المحبوبة، من زوجها الحزين جون بلاك »

فرفعت اليصابات الاكليل من مكانه وألقته وراء السور ثم عادت الى القبر وبكت حتى اكتفت

الفصل الثامن

« دور الأسقف »

تلقى جودفرى في الوقت المناسب تهنئة أبيه بما ناله من الثروة . وكانت عبارته تنطوى على الخشونة فقد ضمنها شكوى من معاملة وكلاء مس اجليفى ومن جودفري نفسه لانه لم يفصح عن الاسباب التى أفضت الى هذا الارث . وأخيراً أرسل المستر نيت مع خطابه هـذا ورقة طلب الى جودفرى توقيعها واعادتها وهى تخول له الاستيلاء على الدخل

أذعن جودفري لامر أبيه فوقع الورقة وأعادها اليه على أنه لم يمض أسبوع أو أسبوعان حتى تلقى جودفرى اعـلاناً رسمياً من المحامي أرسل اليـه مباشرة فى هذه المرة قال فيه انه لم يبلغ بعد سن الرشد وانه لا يجوز له أن يوقع أوراقاً كهذه ونصحه بأن لا يعود الى مثل هذا العمل فى المستقبل ثم أرفق مع هـذا الخطاب صورة من الخطاب الاول والمستندات الاخري التى لم يهتم المستر نيت بارسالها اليه . وقد أبلغه المحامى فوق ذلك أنه خصص مبلغ خمسين جنيها سنوياً من الدخل ترسل اليه على قسطين

لانفاقها على شؤونه الخصوصية وأرسل اليـه تحويلا مالياً بخمسة وعشرين جنيها ونصحه باستشارته في كل أمر يتعلق به وبمستقبله

ابتهج جودفرى وشعر بروح الاستقلال . ثم رد على رسالة المحامي فاعـترف بوصول المبلغ اليه ووعد باستشارته فى كل أمر يهمه قائـلا أنه لم يقرر شيئا فيما يتعلق بمستقبله . ثم أعرب عن رغبته فى البقاء في سويسرا لاتمام دراسته اذا شاء أبوه ذلك

انتهز جودفرى الفرصة بعد ذلك ليذهب الى لوسرن برفقة الاسقف وكان قد أراد تفقد قصر اجليـنى واستشارة مسجل العقود فى لوسرن فيما يجب عمله لترتيبه وتنظيمه

جال جودفري فى غرف القصر الواسـعة والخدم يحيونه باحناء رؤوسهم فوجده موحشاً مقفراً لا سيما عند ماتذكر صاحبته فغادره فى الحال وقال للاسقف انه سيقابله في الساعـة الخامسة ليعودا معاً الى كليندورف . وفى الواقع كانت لديه أعمـال تتعلق به فقد وجد مبلغاً كبيراً في جيبه فأراد أن ينفق جزءاً منه فى شراء بعض الهدايا

اشترى جودفرى أولا غليونا جميلا ليهديه الى الاسقف ولما فرغ من هـذه المهمة انتقل الى مخزن قريب لبيع الجواهر فاشـترى عقداً جميلا لمدام بوزيت وساعة فضية بديعـة لجوليت قيمتهما أربعة عشر جنيها ثم وجد خاتما بقلبين من الفيروز ثمنه جنيهان

فاشتراه على أن يرسله الى اليصابات عنـد ما يكتب اليها . ولما كانت اليصابات قد أرسلت خطابها الى درج المستر نيت لم يصلها الخاتم الا بعد مدة طويلة

حمل جودفرى هذه الهدايا وسار فى طريقه الى المحطة ولسوء حظه التقى بامرأة غليظة الجسم براقة العينين فاذا هي مدام رنيس صاحت المرأة بصوتها الغليظ قائلة

ـ مرحبا أيها الصديق الصغير . ها قد وجدتك . كنت سائرة في المدينة فأوحى الىّ أنك هنا . فماذا تسمي ذلك ؟ ... أتسميه غريزة كغريزة الكلب فى معرفة صاحبه؟ . . فقط أنت الكلب وأنا سيدتك

حاول جودفرى أن يستجمع قواه ورأي أن ليس من الحكمة إظهار الضعف أمام هذه المرأة فحياها برفع قبعته فقالت :

ـ ضع قبعتك على رأسك ياعزيزى الصغير مخافة أن يصيبك البرد فتمرض . اصغ الى فان لدى شيئاً أقوله لك . لقد صادفت حظا عظيما . أليس كذلك ؟ آه مسكينة أيتها الاخت هيلانة ! انها الآن فى عالم الارواح وقد غادرتنا مسرعة كما قلت لها وتركت لك مالا وفيرا ولم تترك لى انا صديقتها القديمة واختها فى الارواح فلسا واحدا مع انها كانت تعلم اننى في حاجة الى المساعدة . ان هناك خطأ ولذا أريد أن أتكلم مع الاخت هيلانة عن هذه المسألة

المالية اذ أري انها تركت لى شيئاً أريد أن أقف على مكانه . ولما كان في وسعك ياعزيزى أن تساعدنى فعليك أن تأتي الى المنزل يوم الأحد المقبل لنتكلم مع الاخت هيلانة أو مع « الينور » صديقتك الحسناء

ثم وضعت فى يده بطاقة بعنوان منزلها

فهز جودفرى رأسه بشدة . على أنهـا لم تـكترث لما فعل واستطردت فى حديثها قائلة

ـ ماذا كنت تشترى بنقود الاخت هيلانه ؟ هدايا على ما أظن . نعم . نعم . انى أراها من داخل جيبك

ثم حدقت بعينها اليه وقالت

ـ ما أجمل هذه الهدايا : عقد للسيدة الجميلة التي استطيع ان اقص عليك بعض اشياء عنها . وساعة للفتاة الحسناء ذات الشفتين المتوردتين اللتين يلذ تقبيلهما . وغليون للاسقف الشيخ ليدخن به وهو يفكر فى امور السماء حيث يجلس يوماً ماولا يفعل شيئاً ثم خاتماً بديعاً لشخص لا يلبسه الآن وهى فتاة حسناء جذابة العينين يعرف كيف تحب . نعم ليست فتاة كعروس من خشب بل فتاة تعرف فروض الحب ومعناه . . . هل انا صادقة ؟

فبهت جودفرى لقولها ودمدم بكلمات عن حانوت ثم سكت

فقالت مدام رينس

ـ دعنا من الحانوت ايها الصديق الصغير واخبرنى هل تأتى الى

منزلى يوم الاحد المقبل ؟

فقال جودفرى

ـ كلا . كفى ما لقيته من الارواح

ـ نعم . ربما . ولو ان الارواح كانت لك من الاصدقاء المخلصين خذ مثلا الاخت هيلانه التى خلفت لك اموالا طائلة . ان الارواح الصادقة لم تشبع منك ولاسيما « الينور » الجميلة . اقول لك يامستر جودفرى انك ستأتى لزيارتى يوم الاحد واذا لم تأت جئت بك

ـ جئت بى كيف ؟

ـ انظر الى عينى . هذه هى الوسيلة . اننى نومتك مرارا عديدة وفى وسعى ان أجذبك الى حيث شئت وان تفعل ما أريد ألا تصدقنى ؟ حسن سأريك . تعال ياعزيزى . أعط امك قبلة

ثم تبسمت كالشيطان

ان آخر شىء فى العالم اجمع يريده جودفرى هو معانقة مدام رينس التى كان يعافها ويقشعر بدنه لرؤيتها . ولكن ياللهول ! تملكته قوة غريبة ليقبلها . . ناضل عبثا وحاول ان يرتد الى الوراء ولكنه بدلا من ذلك كان يتقدم الى الامام ثم حاول ان يحول رأسه عنها ولكن تلكما العينين البراقتين منعتاه وجذبتاه كما يجذب المغنطيس الحديد . واذا كانت الابرة تتدحرج على المنضدة نحو المغنطيس فكذلك مال جودفرى على رغم جفوله نحوها ثم لم يلبث ان رأي ذراعيها ملتفتين حول عنقه ورأى ذراعيه وقد

ضمتا جسما غليظاً الى صدره

ضحكت مدام رينس ضحكة مروعة وقالت

ـ ها قد رأيت.ماذا قلت لك أيها الشاب الصغير الظريف ؟ ان أمك العزيزة تشكرك وعليك الان أن تجرى لتلحق القطار الى الملتقى سأنتظرك بعد ظهر يوم الأحد فى الميعاد نفسه . اذهب الآن

ثم حركت يدها الغليظة البيضاء بحيث غادرها جودفرى بسرعة مدهشة فلحق القطار بشق النفس

وصل جودفرى مع الاسقف الى المنزل وبعد تناول العشاء اخرج الشاب ما ابتاعه من الهدايا وقدمها بحياء الى افراد العائلة فابتهجت السيدة بعقدها وقبلت جوليت الساعة وبدا على وجهها ما ينم على انها تود ان تقبل مهديها وخص الاسقف غليونه الجميل من تحت نظارته الزرقاء بسرور ثم ملأه في الحال بالتبغ واخذ يدخن

قالت جوليت بلهجة التأنيب

انك لم تشتر شيئاً لنفسك . آه اراك قد فعلت

ـ ثم تظاهرت بأنها رأت لأول مرة الصندوق الصغير الأحمر الذى وضع فى داخله الخاتم مع ان جودفرى كان قد اخرجه مع الهدايا الاخرى ثم تناولت الصندوق وفتحته وقالت

ـ لنرى مافيه . آه . خاتم . ما أجمله ! لمن هذا الخاتم يامستر جودفرى ؟ ألأحد من أصدقائك فى انكلترا ؟

تغلب الحياء على جودفرى فالتجأ الى الكذب فقال

ـ كلا . انه لى

فنظرت جوليت اليه وصاحت قائلة

ـ كان عليك أن تختاره أكبر من هذا . جربه تجده صغيراً

فاحمر وجه جودفري خجلا ووقفت الفتاة أمامه وهى تهز رأسها وتدمدم قائلة

ـ كذب ! كذب ظاهر !

أما السيدة فأغربت في الضحك وأخذت تنظر الى الخاتم ثم الى يد ابنتها الجميلة . وكان الاسقف فى خلال ذلك غارقا فى التأمل فى غليونه وأخيراً أدرك ما هنالك فقال وقد رفع نظارته عن عينيه

ـ لا تسخرى من صديقنا الشاب . لقد أخذ كل منا هديته الجميلة فماذا يعنينا بالخاتم . اصفح عنهما ياجودفري وضع الخاتم فى جيبك وتعال الى المرصد لان الجو رائق والسماء صافية

ذهب الاثنان الى هناك وبعد هنيهة أخذا يرصدان النجوم. وكان جودفرى كما قلنا من المولعين بهذا العلم فلم يلبث أن نسى جميع متاعبه

***

نظرت السيدة بعد خروج زوجها والشاب الى ابنتها ـ وكانت قد وضعت الساعة على أذنها وأخذت تنظر الى أمها بمؤخر عينها ـ ثم قالت فى الحال :

ـ أراه جميلا

فقالت جوليت

ـ نعم يا أماه ، انها لامعة ودقاتها كالموسيقى

فصاحت السيدة قائلة

ـ ما أغباك ! لما كنت فى سنك ... حسن

ففتحت جوليت وقالت ببساطة

ـ عفواً !

ـ انى أعني صديقنا الشاب ، والآن اكرر ماقلت وهو انني أراه جميلا

ـ بالطبع يا اماه ... بعد هذا العقد

ـ وانت ... بعد هذه الساعة ؟

ـ آه ، انه رزين ومغرم بما هو بعيد جداً . . . اعنى النجوم

ـ النجوم ! انه مغرم بها لانه ليس هناك شئ اقرب اليه منها ...

ثم سكتت في حين كانت جوليت تنظر اليها ببساطة ، واخيراً عيل صبرها ولم تجد مندوحة من ان تخطو خطوة أخرى فقالت

ـ لو كنت فتاة فى سنك لما تركت هذا الخاتم يرسل الى انكلترا

ـ كيف ذلك يا أماه . أتسرقينه ؟

ـ كلا . ولكن أتحقق من الحصول عليه

لم تستطع جوليت بعد ذلك أن تتظاهر بالجهل ، فلزمت الصمت ولكن وجهها تورد خجلا كما تورد وجه جودفري من قبل ثم وقفت تنتظر حتى تفرغ أمها من كلامها

قالت السيدة مرة أخرى

ـ أراه جميلا يا جوليت ولو أنه لا يزال حديث السن وهذا عيب يزول من نفسه بمرور الايام

ثم حدقت بعينيها فى وجه ابنتها ونظرت نظرة استفهام

فتنهدت جوليت ثم قالت

ـ حسن ، اذا كنت تريدين أن أبدى لك رأيي فانى أشعر بذلك أحيانا وذلك عند ما لا يكون كئيبا حزينا

ثم تحولت وفرت من الغرفة

تبسمت السيدة بعد خروج ابنتها وقالت فى نفسها

ـ ان الامور تجرى فى مجراها الحسن .وستزداد حسنا ، فقط ترى لمن هذا الخاتم ؟ لا بد أن تكون هناك فتاة فى انكلترا ولو أنه لم يقل عنها شيئا ، ولكنها بعيدة عنه وهذه الفتاة قريبة ، غير انى أود أن تكون أكثر تجربة وحنكة لانه اذ ذاك يمكن ضمان كل شيء ، ولكن ماذا يريد الرجل فى مثل هذه الاحوال ؟ لا شيء

ثم طوحت يدها فى الهواء وقالت بصوت ينطوى على الجد
ـ ان المرأة هي صاحبة القوة والسلطان ، فقط لو عرفت كيف تستخدمها

وقعت كل هذه الحوادث في يوم من أيام الاربعاء ولما ذهب جودفري تلك الليلة الى فراشه ضايقته ذكري مدام رينس المقلقة ومعانقته إياها على رغم ارادته وكذا تساورته بعض المخاوف عن المستقبل ، على أن يوم الاحد كان لا يزال بعيداً فذهب الى فراشه فرأى فى المنام أنه يشترى هدايا من لوسرن وأنه قدمها كلها الى مدام رينس

كان جودفري فى يوم الخميس مرتاح البال ولكن بدأت فى يوم الجمعة تساوره القلاقل الى أن اشتدت وطأتها فى يوم السبت. وقد خيل اليه في ذاك اليوم أن تأثيراً شديداً يتسرب نحوه كما تسير السحب المعتمة لتحجب نور الشمس . وكان ذلك وهماً بلا مراء ولكنه كان يشعر بمخالب ذاك التأثير وقد نشب أظفاره فى إرادته وأخذ يجذبه نحو لوسرن . وكان كلما مر النهار زاد الضغط قوة الى أن شعر بتأثيره الشديدوقت الليل فخار فى أمره ولم يدر ماذا يصنع فى الغد

استقر رأى جودفرى على شئ واحد وهو أن لا يذهب الى لوسرن ويدع مدام رينس تنومه مرة أخرى أو تحمله على تقبيلها

واذا كان جودفرى كـكثير من الشبان يخشي مواجهة المتاعب والمشاق ويبذل الجهد لتجنبها فانه رأى نفسه فى هذه المرة أمام مشكلة لا قبل له على التغلب عليها . نعم آنس من نفسه تصميما أكيداً على أن لا يذهب الى لوسرز ولـكنه شعر من جهة أخرى بقوة قاهرة فى داخـله تحمله على الذهاب وأيقن أنه بخضوعـه مرة لمدام رينس صار تحت سيطرتها بحيث لو شاءت أن تنومه أو تستخدمه لغاية أخرى أذعن لارادتها طوعاً أو كرهاً

اضطرب جودفرى لهذه الفـكرة ولم يدر ماذا يفعل . فقد صلى بحرارة وتوسل ولـكن بدون جدوى فلم يحمه ملاك حارس حتى ولا «الينور» من شر مدام رينس فى حين كانت تلك القوة القاهرة تزداد قوة وضغطا

تذكر جودفرى فى موقفه هذا الحرج وصية مس اجليفى له وهي على فراش الموت فابتهج كما يبتهج المسافر اذا ما رأى نور القمر بعد أن كان ضالا فى دياجير الظلام

بمـاذا أوصته مس اجليفي ؟ أوصته بمقاومة مـدام رينس ففعل ولـكن دون جدوى . فقـد صلى عبثاً وخيل اليـه أن القوات العليا تأبى التدخل في هذا الامر الخاص . على أنها نصحته أيضاً بالالتجاء الى الاسقف ولـكنه لم يفعل . والآن وقد أحدق

به الخطر فقد عول على الالتجاء اليه وطلب المعونة منه على أمل الافلات من شر مدام رينس

استقر رأى جودفرى على هذا الامر فلما ذهبا الى المرصد في تلك الليلة كعادتهما كانت علامات الاضطراب بادية على وجه الشاب وبدلا من أن يشتغل برصد النجوم كعادته كان يجول بعينيه فيما حوله . وقد لاحظ الاسقف اضطرابه فدهش لحالته ثم أخذ يراقبه باهتمام وأخيراً سأله عن سبب اضطرابه فقص جودفرى عليه أمره فزاد الشيخ اهتماماً ورفع نظارته الزرقاء عن أنفه حتى ارتكزت فوق خصلة شعره الابيض ثم قال

ـ آه . حقاً ان هذا يدعو الى القلق . لقد وقفت على ماهنالك فى النهاية . اعلم ياجودفرى أنك ذكرتني بأمر جليل الشأن فقد درست هذا العلم الذى يسمونه علم الارواح ووقفت على شيء كثير من أسراره

ثم أخذ يتكلم عن التنويم المغنطيسى والسحر واستحضار الارواح الى أن حار جودفرى وبهت لعلمه الغزير

وقف المستر بوزيت عن الكلام ثم أشعل غليونه وعاد الى الكلام فقال

ـ سندرس هذه العلوم فيما بعد أما الآن فعلينا أن نكافح مدام رينس . وستجد فى أعظم خصم يتغلب عليها ولا تستطيع أن تحمله على تقبيلها مثلك. كن مطمئنا أيها الصديق واذا كنت تشعر غداً

بقوة تدفعك على الذهاب فسأذهب برفقتك واذذاك نرى ما يكون. الآن إذهب إلى فراشك ونم ملء جفونك أما أنا فلا بدلى أن أطلع على شيء مما ورد فى الكتب العديدة التى لدى فى هذا العلم. لا تخف إننى أعرف أحوال مدام رينس وسوف تكون لى الغلبة التامة عليها

هم جودفرى بالذهاب فاستوقفه الأسقف قائلا

ـ قف. إركع أولا لألقي عليك الصلاة القديمة

أذعن جودفرى للامر فأخذ الاسقف يتلو أقوالا باللاتينية لم يفهم جودفرى معناها

ذهب جودفرى الى فراشه وقد شعر بطمأنينة لما أظهره الاسقف نحوه من العطف فنام نوماً هادئا الى قبيل الفجر اذ استيقظ على صوت يشبه قرع الباب فزعم جودفرى أولا أن شخصاً يدق على الباب فقال « أدخل » على أنه علم بعد ذلك ان هذا الدق لم يكن من ناحية الباب بل من فوق رأسه وتذكر فى الحال إنه سمع مثل هذا الصوت عند ما كان جالساً حول المنضدة الصغيرة في قصر إجليفى فعلم أنها أصوات تحدثها الارواح فاقشعر بدنه وتدفق عرق بارد من جميع جسمه وانتفض ولم يدر ماذا يصنع وأخيراً التف فى فراشه

لم تفلح هذه الحيلة لأن صوت الدق اشتد تحت فراشه وفوق ذلك خيل اليه أن الغرفة امتلأت بهواء بارد غير عادى كان يهب

حوله لا سيما على يديه اللتين حاول أن يحميهما بأن وضعهما تحت ظهره . وكان جودفرى يعرف شيئاً من الوسائل التى تخاطب بها الأرواح فأخذ يتلو حروف الهجاء فكان لسانه يقف عند حروف لو جمعت لكانت تدل على الكلمات التالية : « أنا هنا » « أنا الينور »

اضطرب جودفري وقال فى نفسه

ـ يا إلهي ! هل تلك الفتاة المروعة هنا فى غرفة نومي !

ثم استحوذ عليه القنوط والانزعاج فلف نفسه داخل الفراش ثم اخرج رأسه وقال بصوت مضطرب

ـ انصرفى . إننى لم ادعك للقدوم الى هنا وليس هذا من حقك

فسمع على أثر ذلك ضحكة مروعة ثم نزع عنه الفراش والقي فى أرض الغرفة

لم يشعر جودفرى بعد ذلك بشيء اذ كان قد أغمى عليه على ما يظهر ولما أفاق وجد نور الفجر قد تسرب الى غرفته والقى نفسه على فراشه وقد أمسك بوسادته وضمها الى صدره

جلس جودفرى لتناول طعام الفطور بوجه شاحب فسألت السيدة وابنتها عن صحته فأجابهما أن غطاءه سقط من فوق فراشه أثناء الليل فأصيب جسمه بشيء من البرد فقدمتا اليه فنجاناً من الشاى. أما الاسقف فنظر اليه نظرة فاحص مدقق ثم قال بلهجة خاصة

ـ هل الأمر كذلك ؟

فنظرت اليه السيدة والفتاة ولكنهما لم تدركا معنى ما قال

أخيراً بعد انتهاء الفطور ذهب الاسقف وجودفرى الى المرصد على غير عادتهما في ايام الآحاد ثم قال

ـ الآن أخبرنى ماذا أصابك ؟

فأخبره جودفرى بما جرى وفى النهاية قال

ـ ربما كان ما أصابنى كابوساً

فنظر الاسقف اليه نظرة تنطوى على الدهشة وقال

ـ كابوس ! محض هذيان . ان الساحرة رينس أرسلت رسولها لتعذيبك . هذا كل ما هنالك . على أننى لحسن الحظ ماهر فى هذا الفن

فقال جودفرى

ـ لا أصدق السحرة وكنت دائما أسمع انهم دجالون

ـ لا أدرى . ان الناس هنا فى جبال سويسرا يصدقونهم ويقصون عنهم قصصاً غريبة . وقد ورد ذكرهم فى الكتب السماوية . أليس كذلك ؟ لماذا تتردد ؟ ان هذه المرأة ساحرة بلا ريب ولكنها لن ترسل شيطانها وراءك مرة أخرى لانني سأجعل هذه الغرفة سداً فى وجهها

فصاح جودفرى قائلا

ـ بالله أفعل ذلك . ان أمر مدام رينس غريب فقد عرفت ما بجيبي ذاك اليوم ولا أدرى كيف استطاعت ذلك

إنها أرسلت رسولها وراءك دون أن تراه. ماذا قلت لى ؟ إن مس إجليفى حذرتك من شئ. إنها كانت فتاة صالحة ولو أنها كانت جاهلة الى حد انها كانت تعتقد بالارواح . ولا ريب في أنها ترى كل شئ الآن وستحميك لأنها كانت تحبك

فقال جودفرى

ـ كم أود أن تفعل ذلك . آه . إصغ . إننى أسمع دقاً على الباب

وفى الواقع سمعا دقاً عند الباب فتقدم الاسقف وأخذ يفحص الباب وفيما هو مشتغل بفحصه سمع صوتاً آخر ثم لم يلبث ان رأى نظارته قد طارت عن أنفه فالتقطها برزانة ثم وضعها على أنفه وألقى تعويذته باللاتينية. والظاهر إنه نجح فى عمله هذا إذ لم يسمع شيئاً بعدها

تقدم المستر بوزيت نحو جودفرى وقال

ـ إصغ الى . لا تفارقني اليوم يا ولدى . سنذهب الآن الى الكنيسة فتجلس أمامي وسأراقبك باهتمام فاذا خطوت خطوة واحدة نحو الباب تبعتك في الحال

ـ فقال جودفري لا أريد التحرك

ـ كلا ولكن هناك آخرون يريدون أن تتحرك وسنتناول الغداء بعد الكنيسة ثم نسير فى الغابات معاً على مهل . نعم وربما سرنا الى لوسرن لنزور بعض الاصدقاء هناك

ذهب جودفرى الى الكنيسة وجلس أمام الاسقف وأخذ

يصغى الى موعظة موضوعها الأرواح وما ورد عنها في الأنجيل والتوراة فذكر تاريخها وشرح أعمال الأرواح الطيبة منها والخبيثة

شعرت مدام بوزيت بدوار فى رأسها عند سماع هذه العظة ودهشت جوليت لأن أباها خاض في موضوع غريب. أما جودفرى فقد شعر بارتياح عظيم لأن الموعظة كانت موجهة اليه بالطبع ورأى فى أقوال الاسقف صخرة يلتجئ اليها من شر مدام رينس و « الينور » وما وراءهما من جيوش الجحيم

جاء بعد ذلك وقت الغداء فشعر جودفرى بقلق شديد وهو جالس على المائدة وأخذ يتململ وينظر نحو الباب تارة والى من معه تارة أخرى ويقوم ويقعد. وكان الاسقف يلاحظه باهتمام فقال

ـ هل تشعر بميل الى الخروج ؟

فقاطعته السيدة قائلة

ـ وماذا يكون اذا أراد الخروج ؟ ألم يقل المستر جودفرى أنه متوعك المزاج ؟ أخرج إذا شئت يامستر جودفرى

فقال الاسقف

ـ كلا إبق فى مكانك يامستر جودفري وسأرافقك بعد دقيقة واحدة

فقالت السيدة

ـ يا إلهي ، ما هذا ؟ إننى لم أسمع بمثل ذلك من قبل

أما جوليت فجلست مبهوتة تنظر الي مايجرى أمامها بسكون

قام جودفرى وسار نحو الباب وقد ارتسمت على فمه ابتسامة ميتة فهرع الاسقف خلفه

قالت جوليت بلهجة تنطوى على العطف والتأثر

ـ إنه مريض

فقالت السيدة

ـ ربما . أن الموعظة التى ألقاها أبوك اليوم تكفى لأرهاب أعظم شجاع لما تضمنته من الأحاديث عن الشياطين والسحرة ولكن لماذا يدعه وحده ؟ إنهما يسيران معاً فى طريق الغابة وقد أمسك أبوك الشاب من ذراعه وهو يجذبه كأنه يريد الفرار منه لابد أن يكون قد مسهما خبل . هذا هو رأيى . . .

فقاطعتها جوليت قائلة

ـ كلا يا أماه . دعيهما فسيعودان اذا ما فرغا من مهمتهما التى أظن أنها تتعلق بالنجوم

ـ يالك من حمقاء ! هل يرصدان النجوم وقت الظهر ! لا أدرى الآن إلى أين هما ذاهبان

فهزت جوليت رأسها ولزمت الصمت وتركت الحديث وكذا فعلت أمها

الفصل التاسع

« غلبة الاسقف »

سار جودفرى والمستر بوزيت بين الاحراج والغابات فى طريق صخرى مغشي بالثلوج يؤدى الى لوسرن . وكان الشاب يسير بوجه جامد وقد تعلق الاسقف بذراعه

سار الاثنان على هذه الحال مدة إلى أن قال المستر بوزيت وهو يلهث

ـ يا إلهى ؟ إن القوة التى تجذبك لابد أن تكون عظيمة لأنها تجعلك تسير بمثل هذه السرعة ومعدتك ممتلئة بالطعام

فقال جودفرى بشئ من التألم

ـ هو ما تقول . هو ما تقول ! إنى أشعر كأن أحشائي تجذب الى الخارج فلا أجد مندوحة من اتباعها . اقبض على ذراعى بكل قوتك لأني أشعر بميل شديد الى الجرى

فقال الاسقف

ـ آه ! الساحرة . الساحرة العظيمة . لا بد من تسلق هذا التل أيضاً والسير فوق الثلوج . حسن . أعطنى يدك ياولدى لان

سترتك تفلت من يدى وأخشي ان افترقت عنى لاأستطيع اللحاق بك لـكبر سني

وصلا لوسرن فى اقصر مدة ممكنة فاخذ الناس ينظرون اليهما بدهشة

قال الاسقف

ـ أين الشارع الذى تقصده ؟ إننى لا أعرفه

فأجاب جودفرى قائلا

ـ ولاأنا أيضاً. سنصل الى هناك على كل حال. الى اليسار الآن

فدمدم المستر بوزيت قائلا

ـ آه . الروح . الروح القوية . إنها تقوده

وفى الواقع اخذا يسيران فى الازقة ويحتازان الشوارع العديدة الى أن وصلا الى حى عتيق من المدينة لم يكن يعرفه أحد منهما من قبل الى أن وصل جودفرى تحت قبو ووقف أمام باب عتيق ثم قال

ـ أظن إن هذا هو المكان

فقال الاسقف

ـ أنظر إلي العنوان وتثبت من صحته

فى تلك اللحظة فتح الباب بشكل غريب وتوارى جودفرى إلى الدهليز الذي يليه ولم يكد يتبعه الأسقف حتى قفل الباب وراءهما ثانية فقال الأسقف فى نفسه

ـ ان هذا الباب من الابواب التى تفتح وتقفل بقوة الكهرباء

على انه لم يكن لديه وقت كاف لفحص البـاب لان جودفرى كان قد أخـذ يعلو السلم فصعد ثلاثة أدوار يتبعه الأسقف . وأخـيراً وقف جودفرى أمام باب من الابواب فلم ينتظر دق الجرس بل أخذ يقرع الباب بيده

فتح الباب في الحال فدخل جودفرى ورفيقه إلى دهليز مظلم حوله بضعة أبواب أخرى وإذ ذاك اختفي جودفرى عن عينى الأسقف ولم يدر هذا في أي باب دخل فوقف جامداً فى مكانه وأخذ يتسمع فسمع صوتاً غريباً يتكلم بلهجة أجنبية يقول

ـ هـل أتيت لزيارة أمك ياعزيزى الصغير ؟ حسن . ظننت انك ستفعل . وقد أرسلت اليك ليلة أمس رسولا لـكي يذكرك

عثر الأسقف إذ ذاك على يد الباب ففتحه ودخل فوجد مكاناً غريباً زاهراً مغشي بألوان قرمزية تدل علي حسن الذوق . وكان الأثاث بديعاً وكذا بعض الصور ولو انها كلها كانت مصنوعة صنعاً غريباً غير عادى. فقد كان هناك دولاب مصنوع على شكل آكل اللحوم يرتكز على تماثيل خشبية صغيرة على شكل ابى الهول في حين وضع فى إحدى زوايا الغرفة مومياء عارية في صندوق من الزجاج

وكان فى وسط المكان منضدة عادية عليها زجاجة سوداء وبقايا طعام . وبجانب الموقد متكأ من الجلد فى جواره منضدة صغيرة قوية يستخدمها الذين يشتغلون باستحضار الأرواح عادة

تلمع فوقها كرة من الزجاج أو البلور

جلست مدام رينس على هـذا المتكأ . وكانت ترتدى ثوباً أسود وحول وسطها وشاح مذهب وكان وجهها الابيض الغليظ مدهوناً بمسحوق أبيض وعلى رأسها طاقية مـذهبة . وقصارى القول كانت جالسة بحالة مروعة تبعث الرهبة في القلوب وبصورة لا يتصورها العقل

ضربت مدام رينس المتكأ بيدها الغليظة ورفعت وجهها نحو جودفرى وقالت

ـ تعال اجلس بجانبي أيها الاخ الصغير حيث أفسحت لك مكاناً ودعنى أمسك يدك بينما تخبرني عن كل ما فعلت وعما إذا كنت قد فكرت بى وبتلك الحسناء « الينور » التى أرسـلتها اليك فى الليلة الماضية

رفعت مدام رينس عينيها إذ ذاك فوقع نظرها على الاسقف وهو واقف فى الظلام فحدقت فيـه بعينيها البراقتين ثم انتفضت كأنها رأت في النهاية شيئاً يخيفها

صاحت المرأة بصوت ينطوي على الارتياب قائلة

ـ اخبرنى ياجودفرى من هـذا الذى جئت به معك ؟ هل هو خيال من التى توضع فى الحقول لاخافة الطيور أو هو روح من عندك ؟ لو كان الامر كذلك رأيت انه خير لشاب مثلك أن يعشق « الينور » الحسناء بدلا من هذا الشيطان العجوز

فتقدم الاسقف إذ ذاك وقال بصوت عال جهوري

ـ نعم يامدام جزبل. انه خيال الحقل — يخيف غربان الجحيم التى تسعى لالتقاط أرواح الابرياء كما تفعلين الآن مثلك يامدام جزبل

فنطقت المرأة بقسم مجهول ثم قفزت نحوه بخفة مدهشة على رغم غلاظة جسمها ثم وقفت فى وجهه وقالت

ـ قل من أنت ؟

فقال الاسقف برباطة جأش

ـ انني الاسقف بوزيت وقد رافقت هـذا الصبى الذي هو تحت وصايتى فى هذه الزيارة القصيرة يامدام .

ـ آه . هل أنت القس السارق ؟ ليس هنا ماتستطيع سرقته أيها الاسقف بل هنا معرفة المستقبل فهل تريد أن أنظر فى هذه الكرة لاخبرك باشياء حسنة عن ماضى زوجتك الجميلة مثلا ؟ سأفعل ذلك حباً بك . نعم حباً بك . أو هل أجعل هذه المومياء تتكلم معك ؟ أن فى استطاعتى ذلك لاننى عشت مرة فى جسمها وكم كانت حياة سعيدة

ثم أمسكت عن الكلام وأخذت تلهث فقال الاسقف .

ـ إصغى إلىّ أيتها المرأة . لاتظني أن فى استطاعتك ارهابى . انني اعرف كل شىء عن زوجتى وإذا كانت يوماً ما جاهلة فمن في العالم حكيم ؟ أما حيلك فلا أريد منها شيئاً وكل ما أريده أن ترفعى التعويذة التى ألقيتها على هذا الشاب كما منحك سيدك

الشيطان قوة أن تفعلي . والآن هلا تطيعيني أو ....

ـ أو ؟ أو ماذا أيها المحامي القديم عن الله ؟

ـ ان هـذا لقب حسن ، واذا كنت محاميا فاني أعرف رأى موكلي وعلى أن أخـدمه باخلاص . اسمعى الآن رأيه فيك . اعلمى انك ان لم تحيدى عن طريقك هـذا وتندمي على أعمالك ذهبت فى الحال الى الجحيم . نعم تذهبين الى هناك فى الحال لان امرأة غليظة مثلك لابد أن تكون ضعيفة القلب. افعلى ما أمرتك به أيتها السيدة الخبيثة والا لعنتك باسم الرب

فضحكت المرأة ضحكة استهزاء وقالت :

ـ هل تخيفنى أنا مدام رينس العظيمة التى اسيطر على الارواح والتى التعويذات وأرفعها كما اعترفت أنت بذلك ؟ اني أسـخر منك ومن إلهك !

فقال الاسقف باستخفاف

ـ أرواح تحت سيطرتك ! نعم أظن بعضها فى هذه الزجاجة ثم أشار الى الزجاجة السوداء الموضوعة على المنضدة — وغيرها أيضا . انى لاأنكر ذلك ، الآن دعى أرواحك تتقدم لنرى لمن الغلبة . المحامي عن الله أو أنت وارواحك أيتها السيدة

ثم علق مظلته بيده ووضع ذراعيه فوق صدره ثم وقف امامها ينظر اليها من تحت نظارته الزرقاء

دمدمت مدام رينس ببعض كلمات وتعويذات سرية ولكن لم يحدث شيء . فقال الاسقف

ـ انني فى انتظار أرواحك

فلم تجبه فتقدم نحوها خطوة وأخذ هو أيضا يلقى تعويذته بلهجة مروعة اضطرب لها جودفرى . فلعن مدام رينس ودعا لروحها بالعذاب فى النار ولجسمها بالتجارب المؤلمة . وكان يخيل إلى جودفرى ان الاسقف راكب فى عربة فاخرة وانه رأى مدام رينس وقد تحولت الى حشرة ضعيفة فنزل من المركبة ووطأها بقدمه

حدق الاسقف فى وجه مدام رينس وسألها هل تطلب المزيد. وكان الخوف قد استحوذ إذ ذاك على المرأة فلم تجبه وشعرت بان القوة في جانبه

على انها كانت شديدة المراس تستمد قوة سرية لايعلم مصدرها وكانت لأسباب خفية لايعلمها أحد تريد أن تجعل الشاب فى يدها إذ رأته وسيطا لامثيل له لاستحضار الارواح . وكانت ترى فيه قوتها وسعادتها بحيث عولت على أن لاتتخلى عنه طوعا ولذا لم تلبث ان شعرت بانها تغلبت على تلك القوة التى سلطها عليها الاسقف

خارت قوى مدام رينس أثناء اللعنة التي كان يصبها الاسقف عليها وسقطت على المتكأ ولكنها لم تلبث أن انتعشت فجأة فقفزت

بخفة مدهشة على رغم ضخامة جسمها وأخذت تمزق طاقيتها الذهبية من فوق رأسها ثم حلت شعرها على كتفيها وبدأت تدعو شياطينها وخدامها ليأتوا لمساعدتها ثم وثبت الى وسط الغرفة وصاحت قائلة

ـ انني أسخر منك يا كلب الاساقفة وسأتغلب عليك . أن روح هـذا الصبي لى دون غيرى . انني أعظم امرأة تستخدم الارواح فى العالم وهذه شبكتى سأريك

ثم تحولت نحو المومياء العاربة التى كانت داخل صندوق الزجاج وأخذت تخاطبها قائلة

ـ إصغى إلىّ يا « نوفرى » يا كاهنة « ست » وأعظم نبية وساحرة فى العالم القديم يامن سكنتك روحى مرة . ارسلى روحك « كا » لمساعدتى . اقضى على هذا الكلب الاسود . تعالى . اظهرى . اظهرى .

رأى جودفرى وهو يضطرب فى زاوية الغرفة باب الصندوق الزجاجى وقد فتح وخيل اليه انه يرى المومياء وهي تحرك رجليها الجامدتين وأخذت تفرض على أنيابها وقد بانت أسنانها . وبعد ذلك رأى وسمع شيئاً آخر

صاح الاسقف بصوت كالطبل قائلا

ـ يظهر أن مومياءك هذه تتردد أيتها السيدة . اسمحى لى أن قوم نحوها بما يفرضه على الادب فاساعدها على الخروج

ثم قفز إلى أن وقف أمام الصندوق ومد مظلته ووضع يدها

حول عنق المومياء وأمسكها من وسطها كما يقود الانسان سيدة الى الرقص ثم انحني وجذبها فخرجت المومياء وقد انخلع رأسها وانكسر جسمها عند العجز وسقط على الارض وبقيت الرجلان فى الصندوق

انحني الاسقف اذ ذاك فوق المومياء وأخذ يطأها بقدميه حتي امتلأت الغرفة بغبار قارس وأخيراً وقف بين بقايا المومياء ووضع قدمه اليمنى على ما كان أنفها ثم قال بصوت هادئ

ـ الآن . ماذا تريدين ياسيدتى ؟ لقد انتهينا من هذه

فصرخت مدام رينس صرخة مروعة وأخذت تدور بعينيها البراقتين وهى تتميز غيظا وتمزق ثيابها وتبدو كانها تتأهب للوثوب على المستر بوزيت كهرة متوحشة

انتهز الاسقف فرصة سكوتها وعدم قدرتها على النطق فعاد إلى الكلام فقال

ـ إصغى الى يا ابنة بعلزبول . لقد صبت عليك اللعنة وستضايق روحك وتعذبها عذاباً أليما . ولكن لايزال هناك جسمك فاسمعى شيئاً عنه . اعلمى انى سمعت شيئاً كثيراً عنك ... أن الاسقف الشيخ الذي تبدو عليه سيماء الهدوء والسكينة يسمع أموراً عديدة لاسيما اذا كان له بوليس سرى بين رجاله . والآن أظن أن فى ذاك المكتب سجلا رسمياً عنك وعن أعمالك فى هذه البلاد وفي

البلدان الاخرى . وقد طوى هذا السجل الآن ولكن اذا نشر أرسلت إلى سجن الاصلاح »

فامتقع وجه مدام رينس وأخذت تلهث . ولا عجب فقد أصاب الاسقف فى هذه المرة موطن الضعف فيها فاضطربت اضطراباً عظيما وقالت بصوت مبحوح .

ـ ماذا تريد أن أفعل ؟

ـ اطلقي سراح هذا الشاب من تأثيرك وهو ما تستطيعينه اذا أردت

ـ تأثيرى ! لو كان لى سلطان لاستطعت أن أكسر رأسك هذا الاصلع

ـ ليس لدىّ متسع من الوقت أيتها السيدة . ان مكتب البوليس يقفل أبوابه مبكراً في أيام الآحاد .

فأذعنت للامر وتقدمت ببطء نحو جودفرى وقالت :

ـ تقدم الىّ

فسار جودفرى نحوها فقالت

ـ ارفع وجهك وانظر الىّ

فأذعن جودفرى لها فحدقت فى وجهه وتمتمت ببعض كلمات ولوحت بيدها فى الهواء وأخيراً قالت

ـ لقد أطلق سراحك الآن . هذا فيما يتعلق بى اذ لا أظن انك فرغت من الارواح لانهم ضيوف اذا دعوا مرة الى الفطور

بقوا للغداء ثم للعشاء وقضوا الليـل أيضاً . وعلى ذلك أظن انك سترى أرواحاً عديدة قبل موتك وبعد ذلك . . . . من يدرى أيها الخنزير الصغير ؟ اربط خنزيرك من رجله أيها الاسقف وسر به الى المنزل . سوف لا يقوده أحد الى هنا مرة أخرى

ـ حسن أيتها السيدة . لا تنسى انه لو قاده أحـد الى هنا ذهبت نواً الى رجال البوليس . واذا كنت تسمعين نصحي فاطلبي تبديل الهواء فان لوسرن شديدة البرد في الشتاء لا سيما لمن هم ضعاف القلب مثلك . هل انتهى الامر ؟

ـ لقد انتهى الأمر فيما يتعلق بي. غادرا غرفتي فى الحال

فحني الاسقف رأسه بأدب ثم دفع جودفرى أمامه وسار . على أنه لم يكد يصل الى باب الغرفة حتى شعر بجسم صلب أصابه فى ظهره وكاد يلقيه على وجهه فالتفت وراءه فرأى رأس المومياء تتدحرج على الارض اذ كانت مدام رينس قد قذفته بها وقدرآها جودفرى أيضا فالتقطها ثم عاد بها إلى المرأة وكانت واقفة تدمدم وسط الغرفة وقال بأدب

ـ أظن ان هذه ملك لك أيتها السيدة

ثم وضعها على المنضدة بجانب الزجاجة السـوداء ونظر الى المرأة وفر الى الخارج لان وجهها كان يشبه وجه الشيطان

وصل جودفرى والاسقف الى الشارع فقال الشاب .

ـ لقد تغيرت يامستر بوزيت الآن . انني لا أميل الى مدام رينس وبالعكس ارغب في الهرب منها دائماً

فقال الاسقف بابتهاج

ـ هذا حسن .وهذا ما كنت أرجوه لانني أعرف كيف أتغلب على هؤلاء السحرة ولكن لا أدري ياجودفرى ماذا كان يضعه المصريون في رؤوس الجثث حتى تصير ثقيلة الى هذا الحد

فقال جودفرى:

ـ إنهم كانوا يضعون مزيجاً من النطرون والقار والفحم

ثم أخذ يلقى بابتهاج على معلمه بياناً عن طريقة التحنيط عند قدماء المصريين وكان قد أطلع عليها هو واليصابات فى المؤلفات الموجودة فى مكتبة السرحون بلاك . وفى الواقع شعر جودفرى منذ ذلك الوقت بتغيير تام وأحس بأن عبئاً ثقيلا قد رفع عن كاهله .

***

صار جودفرى منذ ذلك اليوم قدوة حسنة لمن هم فى سنه فأصبح شاباً مملوءاً حياة ونشاطاً ونسى مدام رينس وأعمالها كما ينسي الانسان حلماً مروعاً على أنه بقى دائماً كثير الافكار يتساوره أحياناً بعض الحزن عند ما يفكر باليصابات التى خيل اليه انها صارت فى معزل عنه . على أن هذه الفكرة أخذت تضعف بمرور الأيام لحداثة سنه . نعم كانت اليصابات لاتبرح عن فكره ولكنها لم

تسدل حوله ستاراً كما كانت فى الايام الخالية وكما فعلت فى حياته
بعد ذلك . ولو كانت فتاة عادية لها فى شبابها ورشاقتها قوة جذابة
لحجبت حياته حجاباً تاماً

يعشق بعض الناس أحياناً أناساً جهلاء ويحبونهم حباوطيداً
صادقاً . وعندى ان هذا أقسي قصاص يمكن انزاله بالأنسان
إذ ليس اذ هى من أن يضيع الانسان شيئاً . جوهرياً صادقاً في
سبيل شيء خال عن الروح يشبه فقاقيع فارغة مزوقة تمرق من اليد
أو تنفجر اذا أمسكت هؤلاء هم التعساء الحقيقيون الذين باعوا
أنفسهم للحصول على خبيصة من الطعام لا يستطيعون التهامها فقد
تكون لظروف يعلمها الله قد وضعت فى طبق غيرهم أو باتت فالقيت
لتكون طعاماً للكلاب

لم يكن جودفرى واحداً من هؤلاء لأن يد القدر قد سوت
شئونه وسيرتها في طريق أخرى . فلم تكن اليصابات خبيصة من
الطعام ولكنها كانت على رغم اغلاطها وعيوبها ارثا عظيما وكنزاً
ثميناً لمن يعرف كيف يسوسها . وكان جودفرى يعتقد أنها عاملته
في البداية معاملة سيئة ثم هجرته مرة واحدة وأثارت فى نفسه روح
الاستياء من نحوها لأنها لم تكلف نفسها مشقة الكتابة اليه

لم يجد جودفرى فى جوليت ما يجذبه نحوها وبالمثل لم تجد
جوليت فيه ما يجذبها نحوه . وقد قالت الفتاة ذات يوم لأمها انها
تشعر وهى جالسة بجانبه انها تسير فوق ثغرة مغطاة بالثلج فى جوار

جبال الألب فيبدو كل شيء ثابتا تحتها ولكنها لاتدرى متى تذوب هذه الثلوج فيهوى الى حفرة لاقرار لها ويجذبها معه أو تتمكن من الافلات منه وتسير فوق أرض صلبة آمنية وتدعه هو يسير وحده في طريقه المحفوف بالأخطار

فضحكت أمها لقولها هذا وقالت ان منزل السعادة كائن وراء هذه الثغرة ولا يمكن الوصول اليه الا باستهداف الى هذا الخطر

فهزت جوليت كتفيها وقالت انها تفضل السفر — سواء كان أميناً أو خطراً — مع عصفور مغرد فى ضوء الشمس على السفر مع بومة في الغسق تذكرها دائماً باقتراب الظلام

كانت هذه خلاصة رأيها وبعد ذلك طرأت على عقلها فكرة فقالت

— متى يأتي ابن عمى جون — وهو شاب من أعيان برن — ليعيش معنا ؟

انتهى فصل الشتاء وأتى فصل الربيع ثم تلاه الصيف بأزهاره اليانعة ومروجه الخضراء . وكان جودفرى فى تلك المدة سعيداً وكان المكان ملائماً فكبر ونما فى الهواء الطلق الى أن بدءت عليه سيماء القوة ونسى مدام رينس بأهوالها المروعة ولم يعد يفكر بالارواح ولو أن اعتقاده بها لم ينقص بل ازداد وقد يرجع السبب في ذلك الي ميوله الطبيعيه والى تجاربه الاخيرة التى فتحت باباً بين المنظور وغير المنظور والى اشتغاله بعلم الفلك

جد جودفرى كذلك في دروسه فأظهر ذكاء نادراً فى الآداب

والعلوم الاخرى ولم يكن محروماً من التنقل في الخلوات فقدكان يشتغل أحيانا بصيد الارانب فى الغابة الواقعة وراء « البيت الابيض » وكانت ترافقه جوليت فى بعض هذه الرحلات واتفق ان اصطاد جودفرى ثعلبا ولكنه اضطرب وخاف وارتد الى إحدى الاشجار وقد امتقع وجهه ثم قال للفتاة

ـ انى لا أريد صيد الثعالب

فنظرت اليه الفتاة نظرة استخفاف وقالت

ـ ما أغرب طباعك . انك على نقيض غيرك من الرجال . أن ابن عمي لايحب شيئاً أكثر من الصيد . اقطع ذنبه لنعلقه على الحائط فانه جميل

فقال جودفرى بصوت خافت

ـ كلا لا أستطيع

ـ اذن اعطنى السكين فانى أستطيع

وقد فعلت !

من لمدام بوزيت أن تعلم أن موت هذا الثعلب قد انتقم له من أسرتها اذ بقتله قد ضاع كل أمل يرجى فى الزواج الذى كانت تريده من أعماق قلبها

الفصل العاشر

« جودفرى يصير بطلا »

لم يكن جودفرى من المولعين بالصيد ولا من الذين يبتهجون بقتل الطيور والحيوانات . نعم كان لا يجهل أن جسمه قد تربى على لحوم الطيور والحيوانات ولكنه كان يعد ذلك من الضرورات القاهرة والقوانين الطبيعية التى كان يستنكرها شخصيا ولكن لم يكن له عليها من سلطان لانها جزء من نظام جهنمى لعالم أساسه الموت

نعم إن الطبيعة تقضى عليه أن يحيا ويعيش ولكي يحيا يجب أن يقتل ويأكل أو يأكل ما يقتله الآخرون ولكن هنالك فرق عظيم بين القتل ليعيش الانسان والقتل لمجرد التسلية واللهو . وقد عرض فكرته هذه على المستر بوزيت فأمن عليها وارتاح لوجود شريك له يشاطره رأيه

عدل جودفرى عن الصيد للاسباب السابقة التى يراها كثيرون تافهة ثم أخذ بعد ذلك يقوم — صحبة جوليت أيضا — برحلات للبحث عن الازهار النادرة التى تنمو فوق المنحدرات الجنوبية لجبال الالب . وقد وقعت في إحدى هذه الرحلات حادثة تافهة

فى حد ذاتها ولـكن كان لها تأثير كبير في مستقبل جودفري فقد اتفق ذات يوم ان مل الاثنان الصعود على الجبل وهما يبحثان عن زهرة بيضاء نادرة الوجود فصاحت جوليت قائلة

ـ آه ليتنى أعثر على تلك الزهرة البيضاء الجميلة فأقبلها

فقال جودفرى وقد أخذ يمسح العرق الذى كان يتصبب من جبينه من شدة الحر

ـ لو عثرت عليها لقبلتها أيضا بكل ابتهاج وسرور

نادت جوليت الزهرة قائلة

ـ أيتها الزهرة البيضاء الجميلة إصغى الى ندائنا. إظهري من مخبأك أيتها الزهرة الجفولة يقبلك من يعثر عليك منا أولا

كررت جوليت نداءها هذا فقال جودفرى

ـ لا أدرى اذا كانت الزهرة تهتم بندائك هذا

أخيراً وجدت هذه الزهرة وراء صخرة بارزة الى الامام فى بقعة خضراء يانعة لا يتجاوز عرضها بضع يردات تليها صخور أخرى . وكان جودفرى يسير الى جانب هذه الصخرة وجوليت الى الجانب الآخر فرأياها في وقت واحدوهي قائمة وحدها بشكلها البديع ومنظرها الجذاب فصاح الاثنان معاً وانقضا عليها وقلعاها من جذورها وقبض كلاهما على ساقها

صاحت جوليت قائلة :

ـ أنا التى رأيتها أولا . ولا بد لى من تقبيلها وسأحتفظ بها

ـ كلا . أنا الذى رأيتها أولا وسأقبلها واحفظها الذى مع مجموعتى

فقالت الفتاة

ـ وكذا أريد ان أحفظها أيضاً

حاول كلاهما بعد ذلك ان يسوى هذا الخلاف الذى قام بينهما على امتلاك الزنبقة فكانت النتيجة ان تقابلت شفتاهما من بين الزهرة وضغطتا عليها بشدة بحيث كان نصيبها البوار والتلف

قال جودفرى باضطراب

ـ آه . انظرى ما فعلت الزهرة

ـ أنا ! انظرى مافعلت لشفتى . انى اشعر فيهما بتنمل

ثم ضحكت وبعد ذلك خيل اليه انها تريد البكاء فقال بلهجة التودد والعطف

ـ كلا . لاتحزنى . ستجد غيرها بلا ريب بعد أن عثرنا على مكان نموها

فقالت جوليت

ـ ربما . ولكن الانسان لايتذكر دائما غير الشئ الاول . وقد أتلفنا هذه الزهرة

ثم القت ساقها ووطئتها بقدمها

سمعا إذ ذاك صوت ضحك فنظرا فيما حولهما ثم اضطربا إذ وجدا انهما ليسا وحيدين بل كان معهما رجلان آخران جلسا على مسافة منهما وكانا يبديان اهتماما شديداً بملاحظة حركاتهما

عرفهما جودفرى في الحال ولو انه لم يرهما منذالخريف الماضى وكان الرجلان هما الكولونيل سمث المشتغل بالارواح والاستاذ بترسن البحاثة الدنمركى اللذان تعود جودفرى مقابلتهما فى قصر اجليفى .

قال الكولونيل مخاطباً الشاب وقد أبرقت عيناه ببريق الفرح

ـ أرى أيها الاخ الصغير أن وجهك لاتعلوه حمرة الخجل . انك تعرف كيف تستخدم الزهرة اذا ماعثرت عليها

وقال الاستاذ بترسن

ـ أن أوراق الزهرة ضعيفة بحيث لاتستطيع أن تحجب شيئاً

فلم يدرك جودفرى معنى قوله هذا ولو انه عرف فيما بعد ما يقصد

فقال المستر سمث

ـ ستبتهج مدام رينس ابتهاجاً عظيما وهي الآن فى ايطاليا اذا ما علمت بهذه الواقعة . يالها من امرأة غريبة . لقد تلقيت صباح اليوم فقط خطابا أبلغتني فيه اننى سأقابلك أيها الاخ الصغير في الحال وأنت فى ظروف غريبة لم تذكرها . والآن لايسعنى الا أن أهنئك وأهني الفتاة وأن أؤكد لكما انكما مثلتما صورة بديعة عند ما لم يكن بينكما غير الزهرة التى أظهرت نحوكما غلظة على ماأعتقد . وعندى لوبعث الشاعر اليونانى ثيوكريت من قبره وجال اليوم فوق جبال الالب ورآ كما لجرى قلمه بقصيدة بديعة

فى وصف موقفكما والزهرة بين ثغريكما

فقاطعه الاستاذ بترسن قائلا :

ـ نسألكما الصفح لاننا كدرنا صفو ابتهاجكما . أظن ان روح مدام رينس هى التى أرسلتنا إلى هذا المكان الذى لم تكن تنوى القدوم اليه مطلقاً لانها تتوق على مايظهر إلى معرفة أحوالك يامستر جودفرى

فقال المستر سمث

ـ نعم أيها الصديق وستبلغها مارأيناه

قالت جوليت اذ ذاك

ـ من هؤلاء ياجودفرى وبماذا يتحدثون ؟

فقال جودفري متردداً

ـ انهم . . . اصدقائى

على انها قاطعته قائله

ـ لا أحب اصدقاءك فانهم يسخرون منى وسوف لاأصفح عنك

فاضطرب جودفرى وقال

ـ ولكنى ياجوليت . . .

لم ينطق جودفرى بكلمة أخرى لان الفتاة كانت قد حولت وجهها وفرت . ولما كان يريد اقناعها فر هو أيضاً وراءها على انه لم يستطع اللحاق بها إذ وصلت الى « البيت الابيض » قبله وكان لحسن الحظ خالياً وقفلت عليها باب غرفتها وقالت من الداخل انها

تشعر بدوار في رأسها . وهكذا حبست نفسها إلى صباح اليوم التالى

ذهب جودفرى إلى المرصد حيث اعتاد العمل وقت الصيف وهو متألم شارد الفكر . ولم يكن فى الحقيقة يقصد تقبيل جوليت وكذا لا يمكن التصور بانها أرادت تقبيله اذ كان يعتقد أن كل فتاة لاتستطيع الاقدام على ذلك وانها ممنعة كقمم جبال الالب الثلجية لايمكن الوصول اليها . ولو لم تكن تلك الزهرة لماحاول أحدهما أن يقدم على هذا العمل ولو أن للطبيعة سبلها وحيلها للتغلب على مقاومة الانسان . وفوق ذلك لولا هـذان الرجلان اللذان أرسلتهما مدام رينس بلا مراء للتجسس عليه لما اهتم أحدهما بالامر إلى هذا الحد وكان يكفى أن يعتذر الى جوليت — اذا كانت تريد اعتذراً — وهو ما لم تظهره إلى أن رأت الرجلين وكانت قبل ذلك تبدى فرحاً وابتهاجاً

فـكر جودفرى فى البحث عن المستر سمث والاستاذ بترسن ليشرح لهما ماوقع بالضبط ولـكنه رأى ان هذا العمل قد يزيد السر افشاء فقرر أن يدع الامور وشأنها وطمع فى كرم أخلاق جوليت . ولـكن قد تخبر جوليت أمها انه حاول تقبيلها ولو انه ربما قالت انه لم يفز بطائل !

اضطرب قلب جودفرى لمجرد هذه الفكرة وأحس بقشعريرة فى جسمه وأيقن أن السيدة ستعتقد كل شيء عنه مهما كان سيئاً واذا حكمنا على النساء من أحاديثهن نرى انهن يعتقدن أسوأ اعتقاد في مثل هذه الامور

حار جودفرى فى أمره وأخيراً عول على مكاشفة المستر بوزيت ولكنه لم يلبث أن عدل فى الحال عن هذا الرأى اذ أيقن انه سيحمله على الاعتراف امام المذبح فى الكنيسة . ثم . . . ثم . آه . يجب أن يعترف بان القبلة كانت لذيذة ولكنه كان لايريد الزواج بجوليت ويعيش معها طول الحياة

لم يجد جودفرى في النهاية غير وسيلة واحدة وهي أن يحفظ سره فى قلبه وأمل أن تحفظه جوليت أيضاً فى صدرها وكذا الرجلان اللذان شاهداها وربما حافظت مدام رينس عليه أيضاً . أما فيما يتعلق بجوليت فقد صمم على أن يسلك نحوها مسلك المجد فلا يدعها تشكو أخلاقه المرضية مرة أخرى

واأسفاه ! ماأسهل سوء الظن بالابرياء

تذكر جودفرى على أثر هذه الفكرة أمراً كان قد غاب عن ذاكرته اثناء اضطرابه يتعلق أيضاً بزهرة . فقد تمثل له فى هذه الآونة ذاك المنظر الذى شاهده فى ميدان لندن وأعنى به مشهد الفتاه الطويلة التى كانت ترتدى ثوباً يمثل الازياء القديمة وهى تقدم ورده الى رجل كان يرتدى درع فارس فقبلا تلك الورده فى وقت واحد . وكان جودفرى قد فكر ليلتئذ بالقبلة ونسى الورده اما الآن فقد علم ان ورق الورده أقوى صلابة من ورق الزنبقة وانه اذا كان قد شاهد هذا المشهد واصدر حكمه الخاص فقد شاهد كذلك آخرون بعد ظهر اليوم مشهداً آخر مماثلا أبدوا فيه رأيهم وهو رأى علم في نفسه البريئة انه فاسد

انتهى الامر عند هذا الحد وخرجت جوليت من غرفتها في صباح اليوم التالي لاتشكو صداعا . فرحة مبتهجة كعادتها .ومن المحتمل أن تكون الفتاة قد أسرت إلى أمها فطيبت خاطرها وطردت عنها وساوسها

وعلى كل حال عادت الاحوال إلى مجراها العادي واتبع جودفرى الطريق التي رسمها لنفسه بقدم ثابتة فى حين لم تظهر جوليت أقل اكتراث بالامر على أن رحلاتهما وتجولاتهما فى الغابات انتهت وبقيا صديقين حميمين

خفف جودفرى بعد هذه الحادثة من غلوائه وضعفت شكوكه التى نجمت عن حادثة الوردة والقبلة وعول فى النهاية على أن يكتب إلى اليصابات وفعلا جلس يكتب اليها خطابا ولكن قبل أن يفرغ منه تلقى خطابا قصير العبارة من أبيه ينبئه بسفر اليصابات إلى بلاد المكسيك مع خالها فعدل عن ارسال خطابه اليها معتقداً كغيره من الشبان ان الخطابات لاتسلم الا في المكان الذى كتب على الظرف ونسى انه من الممكن أن يرسل اليها حيث ذهبت لاسيما اذا كتب العنوان باسم خالها الذى عين معتمداً في المكسيك

أيقن جودفرى ان الأمر قد انتهي بذهابها وأسف أسفاً شديداً لان والده أخبره فى الخطاب نفسه بوفاة اللادى جونيا فكان يريد تعزية اليصابات على فقد أمها اذ كان يعلم انها كانت تحبها حباً جماً فى حين كان يحبها أيضاً لما كانت تظهره نحوه من الحب والعطف . على انه لم يفعل للاسباب السالفة الذكر

اتفق بعد حادثة الزهرة باسبوعين أن قام جودفرى برحلة لتسلق جبال الالب مع جماعة من الجبليين وفى اليوم التالى قام برحلة أخرى وفى كلتا المرتين أظهر الشاب خفة نادره ومهاره عظيمة . ولكن حدث فى المره الثالثة أنهم كانوا يتسلقون اكمة وعره لم يتسلقها أحد في تلك السنة فشعر أحدهم بدوار فى رأسه فهوى من وسطهم وسقط على حافة هوة سحيقة عمقها نحو الف قدم أو أكثر . واتفق انهم كانوا يتسلقون الاكمة فريقين كل فريق منهما مؤلف من ثلاثة أشخاص ربط كل منهم بالآخر بحبل شد حول منطقته فى حين كان المرشد يتساق الاكمة أمامهم

وكان جودفرى يقود فرقته التى كانت تقتفي أثر الفرقة الاولى وكان معه رجل قوى الجسم فامسك هو وجودفرى زميلهما الذى سقط بينهما وتمكنا من تحمل الضغط الذى نجم عن تدلى جسم رفيقهما في الهوة . بيد أن الحبل الذى ربط كل منهم بالآخر لم يكن متيناً وفوق ذلك كان يرتكز عند النقطة التى تتحمل معظم الضغط على حافة حادة من الثلج بحيث كان ينتظر من وقت الى آخر أن يبلى الحبل بسبب الاحتكاك تلك الحافة ويسقط زميلهما فى الهوة .

جال جودفرى بعينيه فيما حوله والقى نظرة على المكان فايقن فى الحال ان الموقف حرج وانه لاتمضي هنيهة حتى يقضى على الرجل . ثم وجد انه لامندوحة من أحد أمرين فاما الثبات واحتمال ضغط الجسم الذى كان يتدلى الآن فوق الهوة واما أن يعهد إلى

رفيقه الثالث باحتمال الضغط وحده والذهاب إلى مساعدة الرجل حتى تصل الفرقة الاخرى وتساعده على انتشاله

اختار جودفرى الرأي الأخير فقطع الحبل الذى يربطه بزميله ونزل الى مساعدة رفيقه فوجد أن الحبل قد قطع إلى النصف . فمال الى الأمام فرأي الرجل وهو مغمي عليه وقد تدلى كغرارة ربطت من وسطها على بعد غمر قدمين من حافة الهوة

اضطرب جودفرى ولم يدر هل يستطيع أن يقبض على منطقة الرجل ويحتمل ثقله دون أن يهوى معه على انه تذكر ما سيصيب زميله المسكين من الموت وماستعانيه زوجته وأولاده من الآلام بسبب موته فعول على أن يعرض نفسه للخطر من أجله ولكن الخوف كان لا يزال مستحوذاً عليه وأخيراً خيل اليه انه يسمع صوتا هو صوت مس إجليفي يناديه قائلا

ـ أقدم ياجودفرى فى الحال والا ضاعت الفرصة ... سنساعدك

تشدد جودفرى عند سماع هذا الصوت الوهمي فأمسك بيده اليسرى بنتوء بارز من الثلج ومال بصدره فوق الهوة ومد يده اليمنى بمنطقة الرجل على إنه ما كاد يقبض عليها حتى قطع الحبل وصار العبء كله على ذراعه !

حار جودفري في أمره ولم يدر كم يبقى على هذه الحال وشعر بان ذراعه اليمني قد خلعت من مكانها فى حين خيل اليه أن النتوء الثلجى الذى تعلق به بيده اليسرى يكاد يقطع لحمه

بقي جودفرى وزميله على هذه الحال هنيهة وأخيراً سمع

أصوات زملائه ولو انه لم يدرك ما كانوا يقولون

اشتدت آلام جودفرى فعول على أن يترك زميله يهوى ولكنه فضل أن يموت معه كرجل شجاع وقال في نفسه يجب أن يموت موت الابطال

لم يدر جودفرى ماحدث بعد ذلك ولما أفاق وجد نفسه راقدا على قطعه مستوية من الثلج وبشق النفس تذكر ما جرى فظن انه لابد أن يكون قد هوى

سمع الشاب بعد ذلك أصواتاً ورأى وجوهاً تنظراليه كأنها من وراء حجاب. ثم شعر بشىء في فمه وحلقومه يحرقه

قال أحد الرجال وهو الذى كان يرشدهم

ـ شكرا لله . لقد أفاق أعطه جرعة أخرى من الخمر

جلس جودفرى وحاول أن يرفع ذراعه اليمني ليدفع الكأس عن فمه ولكنه لم يستطع فقال للمرشد

أبعد هذا السائل المحرق عنى يا كارل

وكان كارل رجلا أمينا صادقا فجلس القرفصاء وطوق جودفرى بذراعيه في حين أخذ الباقى يقبلونه ويهنئونه فقال الشاب

ـ كفى . إذا أضعنا الوقت على هذه الصورة فلن نصل الى القمة

فاغرق الجميع فى الضحك وقال كارل

ـ لعمرى أن أطوار هذا الشاب تدعو إلى العجب العجاب . لقد قضيت كل حياتى فى تسلق الجبال فلم أر مشهداً أغرب من هذا المشهد ولا بسالة مثل هذه البسالة

بدأ الجميع يهبطون الآن من فوق الاكمة وقد اتكأ جودفرى على دراع كارل الذى ابدى ابتهاجاً بهـذا الحادث الذى سيبقى فى ذاكرته مدى الحياة فى حـين حمل الرجل الذى أنقذه جودفرى على نقالة

وكان أحد الجبليين قد هبط من الاكمة بسرعة وهرع إلى القرية فابلغ أهلها الخبر فلما وصل جودفرى ومن معه إلى اطرافها قابله جمهور كبير لتحيته وكان بينهم اثنان من رجال صحف سويسرا وكان أحدهما يراسل احدى الصحف الانكليزية فطير الخبر بواسطة البرق إلى انكلترا بحيث نشرت صحف لندن فى اليوم التالي الحادث ومما زاد فى أهمية الخبر أن المراســل ذكر فى رسالته سهوا أن الشخص الذى أنقذه جودفرى كان سيدة فى مقتبل العمر

كان الاسقف بين الذين قدموا لتحية جودفرى فلما انفض الذين التفوا حول الشاب قال الاسقف

ـ لاأشكرك على شيء ياولدى فقـد فعلت ما كنت أتوقعه منك فى مثل هذه الظروف

فقال جودفرى

ـ لم أفعل شيئاً من تلقاء نفسى ياسيدى فقد سمعت صوتاً ـ وأظنه صوت مس إجلينى ـ أمرني بالعمل فاطعت أمرها

فتبسم الشيخ وهز رأسه ثم قال

ـ ان هذا منذ بدء الخليقة ياولدى . فاننا اذا أردنا فعل الخير

سمعنا صوتاً يدعونا الى فعله فنظن انه صوت ملاك واذا آردنا فعل الشر سمعنا صوتاً آخر يدعونا الى ارتكابه فنظن انه صوت شيطان ولكن ثق يابني بان الشفتين اللتين تدعوانا الى الخير والشر هما داخل قلوبنا . ففي قلوبنا يقطن الملاك والشيطان جنباً إلى جنباً وكلاهما متأهب لتلبية الدعوة

فقال جودفرى بعناد :

— ولكنني سمعتها

فقال المستر بوزيت

ـ انَّ اضطرابك هو الذى جعلك تتخيل ذلك . ولو كنت في مكانك لسمعت أصوات جميع الموتى الذين كنت أعرفهم

ثم وضع يده النحيفة بلطف على شعر جودفرى الاسود وشكر الله فى قلبه على ماوهبه للشاب من القوة والشجاعة

أرسلت زوجة عمدة القرية اكليلا جميلا من الزهر إلى جودفرى اعترافا بشجاعته وجميل صنعه فتقبله الشاب بابتهاج وعد نفسه من عداد الابطال

﴿تم الجزء الأول﴾

داخلہ نمبر	۳۲،۸۲۵
فن نمبر	و ۷
کتاب نمبر	۱۹۹ع